وزارة المعارف العمومية

الإدارة العامة للثقافة — إدارة نشر التراث القديم

ديوان

المعتمد بن عبّاد

ملك اشبيلية

جمعه وحققه

أحمد أحمد بدوى
مدرس بكلية دار العلوم بجامعة فؤاد الأول

حامد عبد المجيد
وكيل إدارة نشر التراث القديم بوزارة المعارف

أشرف عليه وراجعه

حضرة صاحب المعالى الدكتور طه حسين باشا

وزير المعارف العمومية

المطبعة الأميرية بالقاهرة

١٩٥١

وزارة المعارف العمومية

الإدارة العامة للثقافة — إدارة نشر التراث القديم

ديوان

المعتمد بن عباد

ملك اشبيلية

جمعه وحققه

أحمد أحمد بدوى
مدرس بكلية دار العلوم بجامعة فؤاد الأول

حامد عبد المجيد
وكيل إدارة نشر التراث القديم بوزارة المعارف

أشرف عليه وراجعه

حضرة صاحب المعالى الدكتور طه حسين باشا

وزير المعارف العمومية

المطبعة الأميرية بالقاهرة

١٩٥١

الفهـــرس

الصفحة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

المعتمد الملك

فرع من دوحة بنى عباد ، أسرة عربية من أعرق الأسر وأقواها وأثراها ، نزحت من العريش إلى الأندلس [1] فاستقرت فى غربيّه حينا ، ثم انتقلوا بعد إلى إشبيليةَ فاستوطنوها وعَمَرُوها ، وكانوا فيها أهل النباهة والشأن .

ظهر أمرهم فى عهد الدولة الأموية ، ولا سيما القرن الرابع فقد « تصدَّوا لخدمة الملوك من بنى أمية ، فصرفوهم فى الأمور العلية ، فكثرت فيهم الوجاهة والنباهة ، إلى دولة الحكم المستنصر ، ودولة ابنه هشام المؤيد ، وحاجبه المنصور [2] » .

كان صدر بيتهم ومؤسس مجدهم إسماعيل بن عباد ، من أهل الثروة والجاه واليسار ، كما كان من أهل الأدب والفقه . وكان الفقه فى الأندلس ممهدا للمراكز الرفيعة [3] . وقد اتصل إسماعيلُ هذا بالمنصور بن أبى عامر « فقدمه على خطة القضاء فاتصل استعماله إلى زمن انقراض الدولة الأموية . . [4] » واستطاع إسماعيل أن يؤلف بجوده وبرّه قلوب الكثيرين حوله .

هذا الصنيع وذلك النفوذ الذى كان يتمتع به ابنُ عباد ، قد حمل القاسمَ بن حمّود ، حينما استولى على إشبيلية — على أن يجعل عليها أبا القاسم محمدَ بن إسماعيل ، بعد

(1) ابن خلكان .

(2) البيان المغرب ، ٣ : ١٩٣

(3) نيكلسون ص ٤٢٠

(4) أعمال الأعلام ٣ : ١٧٧

وفاة أبيه " فاستظهر به على مهمات تلك الحضرة ، واستنام إليه لمحله من الجلالة والأصالة فى النظر ، ووفور المـالية "[1]

فلمـا كان عصر الفتنة والمحنة ، استخلص محمد لنفسه لقب السيادة على إشبيلية ، سنة ٤١٣ هـ وعاونه فى ذلك أصدقاؤه وأعوانه الأقوياء ، وظل يبسط سلطانه على نواح كثيرة ، بينما كانت الدولة الأموية تتصدع وتتمزق ، وتقترب من مصيرها المحتوم .

ولم يكد يموت أبو القاسم محمد بن إسماعيل بن عباد فى سنة ٤٣٣ حتى خلفه ابنه أبو عمرو عباد ، وتلقب بالمعتضد ، وهو والد المعتمد . وفى ذلك الوقت خبا نجم الدولة وانهار صرحها ، بعد أن عاشت قرابة أربعة قرون . وأخذ كل أمير ينتزى على ما تحت يده ، وكل وال يستقل بمـا ولى عليه . وبات التطاحن بين الأمراء الذين تقاسموا أشـلاء الدولة قويا عنيفا . وكان المعتضد بن عبـاد ـــ كما يقول ابن بسام ـــ " قطب رحى الفتنة ومنتهى غاية المحنة "[2] .

كان أقوى هؤلاء الأمراء المتوثبين ، وأعظم هؤلاء الملوك المسمّين بملوك الطوائف . كان طاغية جبارا ، له سياسة أعيت على أنداده من ملوك الأندلس . وقد اتجهت مطـامعه إلى غزو جيرانه ولا سيما البربر فى الجنوب والجنوب الشرقى من شبه الجزيرة ، ففتح ما يجاوره من البلاد ، وأخضع كثيرين لسلطانه ، ولم تخل أيامه فى أعدائه كما وصفه الدانى الشاعر " من تقييد قدم ، ولا عطل سيفه من قبض روح وسفك دم . حتى لقـد كان فى داره حديقة لا تثمـر إلا رءوسا ولا تنبت إلا رئيسا . فكان نظره اليهـا أشهى مقترحاته وفى التلفت إليها جعـل جلّ بكره

---

(١) المصدر السابق ٣ : ١٧٨ (٢) الذخيرة ٢ : ١٠

وروحاته . فأبكى وأرّق ، وشتت وفرّق . ولقد حكى عنه من أوصاف التجبّر ما ينبغى أن تصان عنه الأسماع " [1] .

اشتبك المعتضد فى حروب طاحنة مع البربر أمراء غرناطة ومالقة وغيرهما فانتصر عليهم جميعا " وانضاف إلى بلاده عمل قرمونة وعمل الجزيرة . . . . كل هذا وهو قاعد فوق أريكته، منفذ للعظائم من جوف قصره [2] " فاتسع بذلك بلده، وكثر عديده وعدده وغدت إشبيلية أعظم قوة فى الأندلس .

ثم خلف المعتضد على عرش إشبيلية ابنه أبو القاسم محمدٌ سنة ٤٦١ وتلقب بالمعتمد على الله، والظافر بحول الله، والمؤيد بالله. وكان فتى فى الثلاثين من عمره حين أورثه أبوه ملك إشبيلية . وكان المعتمد أعظم ملوك الطوائف جميعا، كما كان زمنه " مشهورا بالراحات والآداب ، وأيامه موصوفة باخضرار الجناب [3] "

كان المعتمد وثيق الشبه بأبيه. لا يختلف عنه فى شئ إلا أنه كان دون أبيه شدة وعنفا . أما ماسوى هذا فكلاهما كان صورة لأمير عظيم من أمراء الفروسية: قد امتاز بالبأس والشجاعة وشدة الشكيمة ، وكلاهما قد اتصف بالسخاء والجود وسبوطة البنان وحسن الصنيع . وكلاهما اشتهر بالقريض وحسن النظم والحدب على أهل الأدب ، فقد نظر المعتضد إلى الأدب " قبل ميل الهوى به إلى طلب السلطان أدنى نظر بأذكى طبع ، وأعطته سجيته على ذلك ما شاء من تحبير الكلام :

---

(1) الحلل السندسية ٣ : ٣٠٨ (٢) أعمال الأعلام ٣ : ١٨١

(٣) أعمال الأعلام ٣ : ١٨٩

وقرض قطع من الشعر ذات طلاوة فى معان أمدته فيها الطبيعة وبلغ فيها الإرادة[1] ". كقوله :

شربنا ، وجفنُ الليل يغسلُ كُحلَه ... بماء صباحٍ والنسيمُ رقيقُ
معتَّقَةً حمراءَ ، أما بخارها ... فضخمٌ ، وأما جسمها فدقيق

وكان له دار لا يدخل عليه أحد فيها غيرُ الشعراء ، وكان يوم الاثنين من كل أسبوع كما روى نفح الطيب .

ومن قبله كان أبوه القاضى محمدُ بنُ إسماعيل " يشارك الشعراء والبلغاء فى صنعة الشعر وحوك البلاغة ، بسطا لهم وإقامة لهممهم ، ولما كان فى طبعه من ذلك[2] " .

وكذلك كان المعتمد كأبيه وجده شاعرا صادقا بكل ما توحى به هذه الكلمة من معان . خُلق ليقرض الشعر ، وليتغنى الإحساس بجماله . وكان شعره كما يقول المعجب كالحلل المنشرة . وقد اجتلب إليه من أعلاق الثناء ، ونثر عليه من درر الحمد ، ووضع فى يديه الكثير من حر القريض ، ولكن أحدا من الشعراء لم ينشده — كما قالوا — أشعر منه .

ولقد بلغ من حبه للشعر أنه كان لا يستوزر كاتبا ولا وزيرا ما لم يكن شاعرا . وقد سعى فى اجتذاب الشعراء والأدباء ، فوفدوا عليه ، ونالوا الجزيل من برّ يديه ، حتى صارت إشبيلية فوق علوها السياسى ، صاحبة العلو الثقافى أيضا .

---

(١) الذخيرة ٢ : ١٤ (٢) المصدر نفسه ٢ : ٣

والمعتمد وأبوه بعد هذا كله ، أو إلى جانب هذا كله ، قد عملا على تكوين دولة غدت أقوى دولة بالأندلس فى عهد الطوائف . وقد مهد المعتضدُ هـذه الدولة "فوق أطراف الأسنة، وصير أكثر شغله فيها شب الحروب، وكياد الملوك، واهراج البلاد وإحراز التلاد[1] "

وكذلك كان المعتمد ؛ فقد واصل الخطو على ما رسَمَ له أبوه . فكانت له حروب ، وعليه آخر الأمر خطر ب . وقد استفحل أمره بغربى الجزيرة ، وعلت يده على معظم الأمراء ، خلا بنى ذى النون أمراءِ طُلَيطلة .

والمُلك إن لم تضمه يد قوية ، وتسهر عليه عيون يواقظ ، فهو صائر حتما إلى زوال . ومن هنا كانت الصلة السياسية بين المعتمد وأبيه صلةَ جِدّ وعمل .

ذهب المعتمد إلى فتح مالَقَةَ ومعه أخوه جابر، ولم يمض قليل على فتحها ، حتى عاد باديس الصنهاجى فانتزعها ، واضطر المعتمد وأخوه إلى الفرار الى رُندة . وقد أثارت هـــذه الحادثة غضب المعتضد على ابنه ، فظل المعتمد يستعطف أباه ويعتذر عما فرط ، فى قصيدة رائية ، هى أطول قصائد المعتمد جميعا :

سكن فؤادك لا يذهبْ بك الفكَرُ ماذا يُعيد عليك البثُّ والحذرُ؟

وبغير هذا من الشعر كقوله يسترضيه :

مولاى أشكو اليك داءً أصبح قلبى به قَريحــا
إن لم يُرحه رضاكَ عنى فلست أدرى له مُريحَـا
سُخطُك قد زادنى سقَاماً فابعث إلىَّ الرِّضا مَسيحَا[2]

---

(١) أعمال الأعلام ٣ : ١٨١ (٢) انظر تمام الأبيات ص ٣٣

والأمر بين المعتضد وابنه المعتمد ،كالأمر بين المعتمد وابنه الراضى . فقد حدث أن هاجم العدو «لُورقة» فأمر المعتمدُ ابنَهَ الراضى أن ينفر إليها ، فتباطأ وتشاغل بالقراءة ، فحجب المعتمد عنه وجه رضاه حينا ، ثم غلبت عليه عاطفة الأبوة فكان منه حنو ورضا عليه فكتب إليه مازحا :

الْمُلْكُ فى طى الدفاتر فتخل عن قَود العساكر

كانت الإماراتُ الأندلسية قد أنهكتها الفتن ، وحطمتها الحروب ، وأوهنها مهاجمة القشتاليين فى الشمال . وقد ساعد المعتمدَ حسنُ الطالع فى الحروب التى شنّها على الأدارسة ومن والاهم ، وعلت يده على كثير من الأمراء ، ولم يكن ثمة من يخشاه، خلا أمراءِ طُليطلة الأقوياء .

كان هؤلاء الأمراءُ ألدّ أعداء المعتمد ، وأعظمهم خطرا عليه ، فكان عليه أن يسعى إلى إسقاطهم . وقد نشبت بينه وبين المأمون بن ذى النون وقائع ومعارك ، انتهت باستيلاء ابن ذى النون بمعاونة ابن عكاشة على قرطبة ، وقَتل سراج الدولة بن المعتمد . ولكن المعتمد ما لبث أن عاد سريعا ، فاسترد قرطبة منه ، وقتل ابن عكاشة انتقاما لابنه سراج الدولة . وكان استرداد قرطبة حادثا خطيرا فى تاريخ إشبيلية السياسى إذ كانت عاصمة الأندلس فى الدولة الأموية وطالما عزت على غير المعتمد من ملوك الطوائف . ولم يلبث المأمون أن تُوفى فى ذلك العام . فخلفه ابنه القادر بالله وكان ضعيفا ، فاهتبل المعتمد الفرصة وغزا طليطلة ، واستولى على كثير من أنحائها كمرسية وبلنسية .

كان يومئذ على قشتالة الفونسو السادس ، وكان أميرا وافر الحزم عظيم الدهاء . وكان صديقا لبنى ذى النون ، إذ عاونوه فى محنته حينما هزمه أخوه شانشو واستولى

على مملكته قبل ذلك بأعوام . ولكنه مع ذلك كان يضمر لهم سوءا و يتطلع إلى انتزاع ملكهم من بين أيديهم .

كانت هذه الصلة بين أمراء طليطلة وأمير قشتالة ، خطرا عظيما على المعتمد . فكان عليه أن يبعد هذا الخصمَ القويّ عن بنى ذى النون ، إذا أراد أن يغنم سيادة إسبانيا الإسلامية . فسعى المعتمد إلى صداقة مَلِك قشتالة ، و بعث إليه بأبرع ساسة الأندلس فى عصره ليفاوضه ، وهو ابن عمّار وزيرُه . واستطاع ابن عمار أن يعقد معاهدة سرية بين الفونسو والمعتمد ، تعهد فيها ملك قشتالة ، بمعاونة المعتمد على محاربة خصومه ، وتعهد المعتمد من قبله أن يترك الفونسو حرا فى محاربة طليطلة ، وأن يؤدى له مقادير كبيرة من المـال .

وهكذا ضحى المعتمد بالمعقل الأكبر لإسبانيا الإسلامية ، وهى طليطلة . فلم يمض قليل حتى استولى ألفونسو على طايطلة سنة ٤٧٨ ﻫ وسقطت بذلك مملكة بنى ذى النون ، وسقط أمنع حصن للسلمين فى يد الإسبان . وكان سقوطها أمرا جالا فبكى عليها الأدباء ونعاها الشعراء . يدلنا على فداحة هـذا الخطب تلك الأبياتُ التي نفس بها اليحصبى عن نفسه :

حُثّوا رواحلَكم يا آل أندلسٍ ... فما المُقَام بهـا إلا من الغَلَطِ
الثوبُ ينسل من أطرافه ، وأرى ... ثوبَ الجزيرة منسولا من الوسَطِ

* * *

وسرعان ما أدرك المعتمدُ سوءَ فعله ، وفداحة أخطائه . فصبّ جام غضبه على ابن عمار ، إذ هو الذى جر على المعتمد سوء العاقبة . ذلك أن حايفه بالأمس

ما كاد يفتح طليطلة ، حتى أخذ فى الاستيلاء على غيرها من الأراضى الواقعة على ضفتى نهر تاجة . ولم يقنع بهذا بل طالب المعتمدَ بِرَدّ ما كان تحت يده من حصون أخذها قبل من طايطلة .

وهنا جزع المعتمد ، وشعر بالخطر المحدق بمُلكه . فلم يمض قليل حتى أعان ألفونسو الحرب على المعتمد ، حين أبى أن يَرُدّ إليه شيئا مما أخذ ، وأحس أمراء الطوائف بأن هذا العدو سوف يجتاح ممالكهم ، ويبتزى على مدنهم ، فأجمعوا أمرهم على أن يكونوا صفا ضد عدوهم ، واتفقت كلمتهم بعد الرأى والمشورة على أن يستصرخوا إخوانهم المسلمين فى إفريقية ، فاستغاثوا بيوسف بن تاشفين أمير المرابطين — وكان المرابطون يومئذ فى أوج عزهم وسلطانهم — فاستجاب لندائهم ، وعبر بحر الزقاق إلى الأندلس فى جيش لِجَب ، وسارت قوى الإسلام تحت لواء يوسف والمعتمد إلى قتال الفونسو . والتقى الجمعان يوم الجمعة المشهور فى موضع قريب من بطليوس يعرف بالزلاقة [1] وفيه دارت المعركة وكانت الدائرة فيها على القشتاليين .

*
* *

عاد يوسف إلى بلاده بعد هذا اليوم المشهود ، ورأى عن كَثَب ما آل إليه حال البلاد ، وما كان عليه أهلها من شقاق وتنازع وتنافر ، الأمر الذى سيقرر مصيرهم على يد عدوهم الفونسو الرابض لهم بالمرصاد .

ولم يمض طويل ، حتى عاد يوسف إلى الأندلس للجهاد فى سنة ٤٨١ هـ ولكنه لم يقم بغزوات ذات خطر ، ثم رجع إلى إفريقيـــة وقد ازداد سخطا على أمراء

---

(١) انظر ما ذكرنا عن يوم العروبة مفصلا فى ص (١٧)

الأندلس جميعا . فلما كانت سنة ٤٨٤ هـ دخل الأندلس للمرة الثالثة وكان يُسِرُّ في نفسه القضاء عليهم جميعا . فسار إلى غرناطة واستولى عليها ، ثم وزع جيوشه ، وفرق كتائبه ، على نواح أخرى من المدائن ، وركّز قوته الرئيسية نحو المعتمد .

ذهب جيش إلى قرطبة وكان عليها المأمون[1] بن المعتمد فدافع المأمون دفاعا مجيدا ، حتى قتل في صفر سنة ٤٨٤ هـ . وانتصر جيش ثان ليوسف على الراضي[2] بن المعتمد في (رُندة) ، وكان مصير الراضي كمصير أخيه المأمون .

وسار جيش ثالث ، بقيادة سير بن أبي بكر إلى إشبيلية ، حيث المعتمد ، فتأهب للدفاع ، واستنجد بحليفه الفونسو فأمده بجيش ، ولكن المرابطين سرعان ما أدركوه فهزموه قريبا من قرطبة ، فأجبر المعتمد على أن ينزل بقواته كلها في الميدان لقتال المرابطين ، ولكن المرابطين كانوا أكثر عددا فهزموه ، وارتد المعتمد إلى إشبيلية وامتنع بها . الى أن كان يوم الثلاثاء منتصف رجب سنة ٤٨٤ هـ فدخل البلد على المعتمد " فبرز من قصره متلافيا لأمره ، عليه غلالة ترف على بدنه ، وسيفه يتلظى في يده ، فلقي على باب من أبواب المدينة فارسا مشهورا ، فرماه الفارس برمح التوى على غلالته ، وعصمه الله تعالى منه ، وصب هو سيفه على عاتق الفارس ، فشقه الى أضلاعه ، فخر صريعا سريعا . قال الداني : فرأيت الفاتحين عندما تسنَّموا الأسوار تساقطوا منها وبعدما أمسكوا الأبواب تخلوا عنها[3] .... "

---

(١) أنظر ترجمته ص ٦٨

(٢) » » ص ٦٨

(٣) من وصف الداني وكان من شهود ذلك اليوم وانظر نفح الطيب ٤ : ١١٠ (مصر) .

ثم عاد المعتمد إلى قصره، واستمسك به يومه وليلته، مانعاً لحوزته دافعاً للذل عن عزته وفى ذلك يقول :

إن يسلب القومُ العدا ملكى وتُسلمني الجمُوعْ
فالقلبُ بين ضُلوعــه لم تُسلم القلبَ الضُّلوع

والتوت الحال بالمعتمد بعد هذا اليوم أياما " إلى أن كان يوم الأحد الحادى والعشرون من رجب، فعظم الخطب فى الأمر الواقع ، واتسع الخرق فيه على الراقع، ودُخل البلد من جهة واديه، وأصيب حاضره بعادية باديه بعد أن ظهر من دفاع المعتمد و بأسه ، وترامیه على الموت بنفسه . مالا مزيد عليه ولا انتهى خلق اليه . فشنت الغارة فى البلد، ولم يُبق فيه على سبد لأحد ولا لبد ، وخرج الناس عن منازلهم ، يسترون عوراتهم بأناملهم ، وكشفت وجوه المخدرات العذارى ، ورأيت الناس سُكارى وما هم بسكارى[1] . . . "

* * *

فى هذه الحرب المستعرة خرج ابنُ عباد وابنه مالك ، فقتل مالك بين يديه ، وكوثر المعتمد فأغمد سيفه . ونزل من القصر إلى الأسر، وامتدت اليه يدعدوه العاتى، فوضع الثقاف فى يده ، وحمل هو وآله فى سفائن أعدت لهم ، وسارت بهم فى الوادى الكبير فى طريقهم إلى أغمات ، وقد احتشد الناس على ضفتى النهر يودعون راعيهم بالبكاء و يذرفون على أيامه سخين الدموع. وكان الدانى الشاعر ممن شهد تلك الساعات الفاصلة فى تاريخ إشبيلية فأثارته تلك الخطوب التوالى ، وحركن عنده لواعج الحزن والأسى واللوعة، فرثى ملك سيده ومولاه بداليته المشهورة :

تبكى السماءُ بدمع رائحٍ غادى على البهاليل من أبناء عبادِ

---

(١) من وصف الدانى أيضا وانظر النفح (١١٠٤ مصر)

وأسره كتابا سماه (نظم السلوك فى وعظ الملوك) كما رثى دولته ابن عبد الصمد فى قصيدة دالية قالها يوم العيد الذى توفى المعتمد فى شهره ومطلعها :

ملك الملوك أسامعٌ فأنادى　　أم قد عدتك عن السماع عوادى

وقد رأينا من المؤرخين من يأخذ على يوسف فعله بالمعتمد، يقول ابن الأثير : " فقد أبان أمير المسلمين بهذا الفعل عن صغر نفس ولؤم قدر[1] "

وعلى الرغم مما أصاب المعتمد وآله . فان المحنة لم تروّع قلبَه ، ولم يطأطئ هامته لقسوة يوسف . فما ذل ولا استعطف ، ولا استرحم ولا استشفع ، ولا ارتاع ولا روّع ، وإنما كان كالبدر ، لم يحجب ضياؤه ، ولم يُستر سناؤه . وكان عزاؤه فى محبسه ، وغذاؤه الروحى فى أسره ، إنما هو الشعر يبثه كامن حزنه ، وينفث فيه ذاهب مجده، ويتوجع فيه لمصرع بنيه وفلذة كبده . ولعل أصدق ما يصور نفسه فى سجنه قولُه :

تُؤمــل للنفس الشجيـة فَـرجةً　　وتأبى الخطوبُ السودُ إلّا تَماديا
لياليك من زاهيك أصفى صحبتَهـا　　كذا صحبتْ قبـلُ الملوكُ اللياليـا
نعــيمٌ وبؤسٌ، ذا لذلك نـاسخٌ　　وبعـدهما نسخ المنَـايا الأمانيا

هذه لمحة سريعة، وتأملات عابرة، تثيرها فى النفس محنـة المعتمد . فلنودع المعتمد الملك . لنستقبل بعد المعتمد الشاعر .

---

(1) الكامل (١٠ : ١٣)

المعتمد الشاعر

(١)

ولد فى مهـاد الملك ، وعاش أميرا فملكا ، لم تدفعه الحـاجةُ إلى الارتزاق بشعره ، وإنّما كان كالعصفور الغَرِد ، يمتلىء شعورا بالحياة ، فيُغنِّى ، وتبهجه آيات الجمال ، فيصدح ، لا يُضطرّ إلى أن يُلبس عواطفه غير لَبوسها .

وقد رأى والده فيه بادرة هذا النّبوغ ، فشجّعه على أن يقرض الشّعر ، وعرف الابن فى أبيه حبّه للشّعر ، فاتّخذه فى رسائله إليه ، يمدحه آنا ، ويستعطفه حينا ، ويعتذر إليه مرّة ، ويطلب منه بعض إنعامه تارة أخرى ، كما سترى ، علما منه بمـا للشّعر من تأثير فى نفس أبيه ، وبأنّه جدير أن يبلغ به ما يريد .

وأغرم المعتمد بالشّعر ، حتى كان يكتبه فى رقعة الدّعوة إذا دعا ، ويستجيز به الشّعراء ، وكثيرا ما كان يرسل إلى وزرائه ، وندمائه وشعرائه ، رسائل بالشعر ، بدل منثور الكلام .

(٢)

وكان شعره صورة للحياة التى عاشها ، فى عهد الإمارة والملك ، حياة التّرف والجلال معا ، تراها ممثّلة فى قوله :

ولقد شربت الرّاح يسطع نُورها … واللّيل قد مدّ الظّـلام رداءَ
حتّى تبدّى البدرُ فى جوزانه … ملـكا تناهى بهجة وبهـاء
لمـّا أراد تنزّهـا فى غربه … جعل المظـلّة فوقه الجوزاء
وتناهضت زهر النّجوم يحفّـه … لألاؤهـا ، فاستكمل الآلاء

وترى الكواكب كالمواكب حوله ‏ رفعت ثريّاها عليه لواء

وحكيتُه فى الأرض ، بين مواكب ‏ وكواعب ، جمعت سنًا وسناء

إن نشّرت تلك الدروع حنادسًا ‏ ملأت لنا هذى الكئوس ضياء

وإذا تغنّت هـذه فى مِزْهَرٍ ‏ لم تأل تلك على التَّريك غناء

لخياله كما ترى، بين راح يسطع نورها فى ظلمة الليّل . تحت أضواء بدر ، يملأ الكون بهاء وبهجة ، تحفّ به النجوم المتلألئة ، كما تحفّ الرّعيّة بمليكها ، وهنا يعقد موازنة بين نفسه فى الأرض . والبدر فى السّماء ؛ فهو فى ملكه بين مواكب من الجند أو بين كواعب أتراب ، يصدحن بأعذب الموسيقى ، وأرقّ الغناء .

وملهاة أخرى كانت أثيرة لديه ، تلك هى ملهاة الصّيد . يطلب من والده حينا أن يأذن له بساعة ينفقها فيه ، ويرى فى ذلك منّة من والده عليه ؛ وحينا يرسل إلى أبيه يحدّثه عن ساعة قضاها فى الصّيد والقنص .

وكان للأحداث السّياسيـة صداها فى شعره ، ولعلّ أعظم تلك الأحداث استيلاؤه على قرطبة ، وهو حادث ملأ نفسه زهوا ، وربّما أفعم قلبه بالأمل فى أن يوحّد الأندلس العربية،تحت رايته ويقيم فى البلاد دولة بنى عبّاد ، ولا جرم، فقد كانت قرطبة عاصمة الأندلس كلّها ، يوم كان الحكم العربىّ مزدهرا بتلك الديار. ويُبين المعتمد عن هذا الزهو ، وذلك الأمل ، فى قوله :

من للملوك بشأو الأصيد البطلِ ؟! ‏ هيهـات جاءتكمُ مَهديّة الدّولِ

خطبت قرطبة الحسناء إذ مَنَعَت ‏ من جاء يخطبها بالبيض والأَسَل

عِرْس الملوك لنا فى قصرها عُرُسٌ كلّ المـلوك به فى مأتم الوجل
فَراقبوا عن قريب . لا أبالـكُمُ هجوم ليثٍ . بدرع البأس مشتمل

ومن أعظم هذه الأحداث أيضا ، تلك المعركةُ الّتى دارت رحاها يوم العروبة ، بين المعتمد بن عبّاد والمرابطين وأمراء الأندلس من ناحية . وبين ألفونس السّادس ملك قشتالة من ناحية أخرى . وعرفت فى التّاريخ بمعركة الزّلّاقة . وقد تحدّث عن صبره على أوار تلك المعركة . والمؤرّخون يروون بلاءه فيها ، و يثنون على شجاعته واستبساله . وقد تجلّى ذلك فى حديثه عن ابنه أبي هاشم ، حين ذكره ورحى القتال دائرة ، إذ يقول :

أبا هاشم هشمتنى الشّفـارُ فللّه صبرى لذاك الأُوارْ!
ذكرت شُخيصك ما بينهـا فلم يَثْنِنى حبّـه للفرار

و يظهر أنّه كان رقيق المعاملة لوزرائه وندمائه عظيم التّواضع لهم . كتب مرّة الى ذى الوزارتين أبي الوليد بن زيدون وكان المعتضد قد أمر أن يكون مجلس الوزير دون مجلس ولده المعتمد :

أيّها المنحطّ عنّى مجلساً وله فى النّفس أعلى مجلسِ
بفؤادى لك حبّ يقتضى أن تُرى تُحملُ فوق الأرؤس

ولذا لا نعجب أن يجيبه ابن زيدون ، فيصفه بأنه مَلكٌ ، مالك بالبرّ رقّ الأنفس . كما كان يحبّ أن يأخذ الأمور بالرّفق واللّين ، ويدلّ على ذلك شعره الّذى أرسل به إلى ابن عمّار ، عقب نزوع هذا إلى أن يستأثر بمرسية :

متى تلقنى تلق الّذى قـد بلوته صفوحا عن الجانى ، رءوفا على الصّحب

كان شعر المعتمد أميرا وملكا ، يفيض بالبهجة و يغمره السّرور . حتى إذا ماقلب الدّهر له ظهر المجنّ ، فهاجمه يوسف بن تاشفين حليفه بالأمس ، انقلبت تلك الحياة الراضية حياة بؤس وشقاء ، ولعلّ من أوائل الكوارث التى نزلت به ، وفاة ولديه اللّذين كانا على قرطبة ورُندة ، عند ما أغار عليهما جيش يوسف . وهنا يبدأ

عهد المحنة ، ويفيض شعره الباكى الحزين ، حتّى إذا تمّ أسره ، مضى الشّعر يروى إحساساته الحزينة ، وآلامه الدّفينة ، وذكرياته المؤلمة ، وخواطره القاتمة ، كما سنرى .

(٣)

كان الغزل أهمّ أغراض شعر المعتمد ، فى عهد الإمارة والملك ، وهو غزل حقيقىّ ، تحدّث فيه عن عواطفه ، فى حال الرّضا والغضب ، والقرب والبعد . وأظهر ما فيه أنه غيرُ وقف على واحدة ، بل هن جوار وزوجات ، عرفنا منهنّ جوهرة ، وسِحر ، ووداد ، وقمر ، وزوجه اعتماد وأم الربيع ، يقول فى الأولى منهنّ :

سرورنا دونكُمْ ناقص ... والطيب لا صاف ، ولا خالصُ
والسعدُ إن طالعنا نجمه ... وغبت ، فهو الآفل النّاكص
سمّوك بالجوهر مظلومةً ... مثلك لا يدركه غائص

ويقول فى الثّانية :

عفا الله عن سِحرٍ على كلّ حالة ... ولا حو سبت عمّا بها أنا واجدُ
أسحر ، ظلمت النّفس ، واخترت فرقتى ... فجمّعت أحزانى وهنّ شوراد
وكانت شجونى باقترابك نُزّحا ... فهاهُنّ لمّا أن نأيت ، شواهد

ويقول فى ثالثتهن :

اشرب الكأس فى وداد ودادك ... وتأنّس بذكرها فى انفرادك

قمر غاب عن جفونك مرآ ... هُ ، وسكناه فى سواد فؤادك

ويقول فى زوجه اعتماد أم الرّبيع :

تظنّ بنا أمّ الرّبيع سآمةً ... ألا غفر الرّحمنُ ذنبا تُواقعُه

أأهجُرُ ظبيا فى فؤادى كِناسُه ... وبدرَ تمام فى جفونى مطالعه

وروضةَ حُسن أجتنيها ، وباردا ... من الظّلم ، لم تحظر علىّ شرائعه

إذًا عدمت كفّى نوالا تفيضه ... على معتفيها ، أو عدوّا تقارعه

وفيها يقول :

بكرت تلوم ، وفى الفؤاد بلابل ... سفها ، وهل يَثنى الحليم الجاهلُ

يا هذه ، كفّى فانّىَ عاشق ... من لا يردّ هواى عنها عاذل

حبّ اعتماد فى الجوانح ساكن ... لا القلب ضاق به ، ولا هو راحل

يا ظبية ، سلبت فؤاد محمد ... أَوَ لم يُروّعك الهزبر الباسل

من شكّ أنّىَ هائم بك مغرم ... فعلى هواك له علىّ دلائل :

لون كسته صفرة ، ومدامع ... هطلت سحائبها ، وجسم ناحل

وهذا الغزل الذى لا يقتصر على واحدة ، يدلّ على أنّ صاحبه مغرم بالجمال ، يُعجب به أينما كان ، لا كهؤلاء المحبّين الذين لا يرون الجمال الّا ممثلا فى واحدة ، وليس حبّه حبّا عذريّا ، يقنع من الحب بالذكرى وطيف الخيال ،

فلا ترى فى غزله صوفيّة ، ولكنّه غزل دائم الحديث عن لذة المتعة بالجمال ، فتسمعه يقول :

الصّبح قد مزّق ثوب الدّجى   فمزّق الهمّ بكفّى مَهَا
خذ باسمها من ريقها خمرة   فى لون خدّيها ، تجلى الأسى

ويخاطب من يحب قائلا :

متى أداوى يا فدا   ك السّمعُ منّى والبصر
ما بفؤادى من جوىً   بما بفيك من خَصَر

ويقول :

وشادن أسأله قهوة   فجاء بالقهوة والورد
فبتّ أسقى الرّاح من ريقه   واجتنى الورد من الخدّ

حتى فى النوم ، عندما يزوره طيف من يهوى . لا يقنع إلّا بالحبّ الواصل ولا يرضيه إلّا أن يظفر فى النّوم ، بما كان يظفر به فى اليقظة فهو يرسل إلى من يحبّ رسالة ، منها :

إنّى رأيتك فى المنام ضجيعتى   وكأنّ ساعدَكِ الوثيرَ وسادى
وكأنّما عانقتنى ، وشكوتِ ما   أشكوه من وجدى، وطول سهادى

والمعتمد يسجّل فى شعره ما ظفر به من متع حسّيّة بالجمال ، ويحنّ إليها إذا نأى عنها . وشعره فى الشّوق إلى الجمال المفارق بارع قوى . ومن ذلك ما كتب

به إلى ابن عمـار، يذكر عهده بشلب، ولياليه السعيدة بها ، ومعاهد لهوه فيها ، فقال :

ألا حي أوطاني بشـلب ، أبا بكر ... وسلهن : هل عهد الوصال كما أدرى
وسـلم على قصر الشراجيب عن فتى ... له أبـدا شـوق إلى ذلك القـصر
منـازل آسـاد ، وبيض نواعـم ... فناهيك من غِيل ، وناهيك من خِدر
وكم ليـلة قد بت أنعم جُنحها ... بمُخْصبـة الأرداف ، مجدبة الخصر
وبيض ، وسمـر ، فاعلات بمهجتى ... فعـال الصفاح البيض والأسل السمر
وليـل بسـد النهـر لهـوا قطعته ... بذات سـوار ، مثل مُنعطِف النهـر
نضت بردها عن غصن بان منعـم ... فيا حسن ما انشق الكمام عن الزهر
وباتت تُسـقّينى المـدام بلحظهـا ... فمن كأسها حينا وحينـا من الثغـر

وأغلب الظن أن ميدان حبه كان جواريَه وحظاياه ، وهؤلاء كن قريبات منه ؛ ولهذا لا تحس فى شعره لوعة ولا حرمانا ، فهجر الجوارى دلال ينتهى بوصل ؛ وخصام لا يلبث الصلح أن يعقبه ، والفراق إذا كان اليوم ، ففى غد اللقيا والوصال ، وهـو حين يغالى فى التعبير عن أساه للهجر والفراق ، مدلل لمن يهواه . وكثيرا ما صور لنـا مداعبات جرت بينه و بين من يهوى ؛ ولعـل من أرقها تلك التى صورها ، وقد جرى بينه و بين جاريته جوهرة عتاب ؛ فكتب اليها يسترضيها فأجابته برقعة لم تعنونها باسمها ، فقال :

لم تَضُف لى بعد ؛ وإلا فـلِمْ ... لم أر فى عنوانهـا جـوهره
دَرَت بأنى عاشـق لاسمهـا ... فـلم ترد للغيـظ أن تذكره
قالت : إذا أبصره ثانيـا ... قبّـله ، والله لا أبصره

وللمعتمد شعر بعث به إلى أبيه ، تلمس فيه ما كان يحمله الأمير الفتى لوالده من إكبار و إجلال . فهو حينا يمدحه مدحا يرفعه إلى التفرد بالمجد والسّيادة ، إذ يقول له :

ألا يا مليكا ، ظلّ فى الخطب مفزعا ‏ ‏ ‏ و يا واحدا قد فاق ذا الخلقَ أجمعا

وحينا يرسل إليه يسأله بعض نعمه ، أو يطلب إليه مجنّا ، أو يشكره على كثرة ما أولى وأنعم . ومن ذلك انّ أباه أرسل إليه فرسا أصدأ ، فكتب إليه المعتمد :

نوال جزيل ، يُنهر الشّكر والحمدا ‏ ‏ ‏ وصنع جميل ، يوجب النّصح والودّا
لقد جدت بالعلقِ الذى لو أُباعُه ‏ ‏ ‏ بذلت ، ولم أُغبن ، به العيشة الرغدا
جواد أتانى من جواد تطابقا ‏ ‏ ‏ فيا كرم المُهدِى ، و يا كرم المهدَى
وكم من يد أوليت موقعها ندٍ ‏ ‏ ‏ لدى ، ولكن أين موضع ذا الأصدا
لعلّىَ يوما أن أوفّى حقّه ‏ ‏ ‏ فأنعلهَ ممن عصى أمرك الخدا

فاذا ما غضب الوالد على الأمير ، وجد هذا من شعره وسيلة يستلّ بها هذا الغضب . ولعلّ أكبر قصيدة فى الدّيوان تلك الّتى بعث بها إليه ، وقد خرج من مالقة منهزما أمام باديس ، وقد تصرّف فى هذه القصيدة تصرّفا بارعا ، فبدأها بالحديث إلى نفسه ، يطلب منها أن تهدأ ، وتستقرّ ، إذ لا فائدة فى البكاء ، ولا خير يرجى من الحزن والألم ، ما دام القدر قد عاق عن بلوغ الأمل ، فيقول :

سكّن فؤادك ، لاتذهب بك الفكِر ‏ ‏ ‏ ماذا يعيد عليك البثّ والحذر ؟ !

ثم ينتقل انتقالا طبيعيّا ، إلى مدح والده مدحا رائعا قويا ، بدأه بقوله :

سميذع ، يهب الآلاف مبتدئا ‏ ‏ ‏ و يستقل عطاياه ، و يعتذر

ويمزج المدح بالاعتذار إليه ؛ طالبا منه أن يبقى عليه ولا يُوهنه ، فهو العدّة في حوادث الدّهر ، وهو النّاب والظّفر وقت الشدّة . ويظهر ممّا وصف به المعتمد نفسه معتذرا إلى والده حين يقول :

فالنّفس جازعة ، والعين دامعة	والصّوت منخفض ، والطّرف منكسر
وحلت لونا وما بالجسم من سقم	وشبت رأسا ، ولم يبلغني الكبر
وذُبت إلّا ذَمَاءً فيَّ يمسكه	أنّى عهدتك تعفو حين تقتدر

أنَّ وقع الهزيمة كان شديدا على نفس أبيه ، ونكاد نلمح أنّ والد المعتضد قد أرجع سبب الهزيمة إلى انصراف ولده المعتمد إلى اللّهو والغناء ، والخمر والنّساء ومن أجل هذا بذل المعتمد جهدا كبيرا فى أن يبرئ نفسه منها ، منحيا على قوم ذوى دغل ، لعلّهم هم الذين نقلوا إلى أبيه ، أمورا لا ترضيه ، فقال المعتمد يتنصّل :

لم أوت من زمني شيئا ألذ به	فلست أعهد ، ما كاس ، ولا وتَرُ
ولا تملّكني دلٌّ ، ولا خفرٌ	ولاسبي خلدى غنج ، ولا حور
ما تركى الخمر من زُهد ولا ورع	فلم يفارق لعمرى سنّى الصّغر
وإنّما أنا ساع فى رضاك، فإن	أخفقت فيه فلا يفسح لى العمر

*
* *

وبرغم شهرة شعراء الأندلس بوصف الطّبيعة ، وغرام المعتمد بها ، لم نجد له كثيرا من الشّعر فيها ، الآ حديثا عرضياً عن البدر الذّى كان يساهره ، وهو

م (٢٢)

هانىء بشرب الرّاح ، أو الشمعة التى سهرت معه كذلك وهو يشرب الخمر أيضا ، وقد رأى فى نورها ولهبها ممثلا لجمال ساقيه ، ونار غرامه، إذ يقول :

ساهرتها ، والكاس يسعى بها من ريقه أشهى من الكاس
ضياؤها — لا شك — من وجهه وحرّها من حرّ أنفاسى

ويقف ابن عبّاد فى وصفه للخمر ، عند حدّ ما تراه العين ، غير متجاوز ذلك إلى الحديث عن وصف أثرها فى نفسه كما ترى ذلك فى قوله :

لو زرتَنا لرأيت ما لم تعهد ذوبَ اللجين خليط ذوب العسجد

ولعل المعتمد قد شغله الجمال النّاطق ممثّلا فى المرأة ، عن الجمال الصّامت ممثلا فى الطّبيعة .

ولقد وصف المجن عندما طلب اليه أبوه وصفه ، وكان قوىّ الخيال عندما ربط بين منظر المجنّ ، وقد أصبح يحكى السّماء بما رُسم عليه من نجوم ، وبين بُعد أن تناله طوال الرّماح ، إذ قال :

مجنّ حكى صانعوه السّماء لِتَقْصر عنه طوال الرّماح

*
* *

وله قصيدتان تهكّميتان ، بلغ فيهما مبلغا كبيرا من الإتقان والإجادة ، أمّا أولاهما فتلك التّى ردّ بها على ابن عمّار ، عندما طمع فى أن يستأثر ببلنسية ، فقال ابن عمّار

فى ذلك شعرا يشيد فيه بمجده ومجد أسرته ، ولم يكن ابن عمّار من أسرة رفيعة الذرى ، بل كان خامل البيت ، كما يقول المؤرخون ، فما هو إلاّ أن قال :

كيف التفلّت بالخديعة من يدَى رجل الحقيقة ، من بنى عمّار

حتّى أنشد المعتمد قصيدة يعرّض فيها بابن عمّار وآبائه ، ويذكر نشأتهم ومنبتهم ، ويسخر من فخره بهم ، فى أسلوب تهكّمىّ لاذع ، بدأه بقوله يكمل قصيدة ابن عمّار :

الأكثرين مسوّدا وممـلكا ومتـوّجا فى سالف الأعصار

والثانية بعث بها إلى ابنه الرّاضى ، عندما أرسل إليه يأمره بالخروج لمحاربة عدوّ هاجم " لُورقة " ، فأظهر الرّاضى تمارضا ، وانصرافا إلى القراءة ، فكتب إليه قصيدة تهكّمية بدأها بقوله :

الملك فى طى الدفاتر فتخلّ عن قَوْدِ العساكر

* * *

وللمعتمد فخر بنفسه وبأسرته ، فى ثنايا قصائد غزله ، ورسائله إلى أبيه ، ولم ينشئ قصيدة للفخر قصدا ، إلاّ تلك التى أوحى إليه بها فتحه قرطبة ، وإلا أخرى يفتخر فيها بالجودَ ، وإلاّ ثالثةً أنشأها فى الأسر وسوف نعرض لها .

ولم يَرْثِ غير بنيه الذين قتلوا ، وهم يدافعون عن مدنهم ، وهو حين يرثى يندفع حينا وراء حزنه ، حتّى ليرى من الغدر ألاّ يفيض جفنه عليهم ، ويرى نفسه أحق بالبكاء ، من تلك القُمْريّة التى أثارها فقد إلفها :

فما لى لا أبكى ؟! أم القلب صخرةٌ   وكم صخرة فى الأرض يجرى بها نهر
بكت واحدا ، لم يشجها غيرُ فقده   وأبكى لآلاف عديدهــم كـثر
غَدَرت إذًا . إن ضنّ جفنى بقطره   وإن لؤمت نفسى فصاحبها الصّبر

وحينا تتغلّب العاطفة الدّينيّة لديه ، فيخفّف ذلك من وقع المصاب عليه :

مخفف عن فؤادى أنّ ثكلكما   مثقّــل لىَ يــوم الحشر ميزانا

أمّا عندما كان فى الأسر ، فإنّه وجد فى رثاء بنيـه وبكائهم متنفّسا عن آلامه ووجد فى الجزع عليهم تعبيرا عن يأسه وتبـديد أحلامه . ولا ريب أنّ حاله فى الأسر ، هو الّذى أوحى إليه بهذا البيت الباكى :

يقولون: صبرا، لاسبيل إلى الصّبر   سأبكى،وأبكى،ما تطاول من عمرى

وهو فى هذه القصيدة يرى الطّبيعة تشاركه فى الحزن ، فالبدر والنّجوم الزّهر فى مأتم كلّ ليلة ، والغمام يبكى مشاركة له فى مصـابه ، والمعتمد يناجى ولديه ، محدثا لهما عمّـا خلّفه بُعـدُهما فى القلوب ، من جُروح ونُدوب ، وما استحال إليه مجده بَعدَهما ، من تبـدّد وانهيار ، حتّى إنّهما لو عادا لآثرا الموت على أن يرياه مقيّدا مأسورا :

فلوعدتما ، لاخترتما العود فى الثّرى   إذا أنتمـا أبصرتُمـانى فى الأسر

*
* *

أمّا شعره فى الأسر فكان سلواه ، يشكو له بثّه ، ويندب إليه حظّه ، ويحدّثه بآلامه ، ويبكى به مصيره ومصير ملكه .

وقد دافع المعتمد عن عرشه ، وخرج بسيفه يذود عن حماه ، ولم يستمع إلى رأى ناصحيه الّذين أشاروا عليه بأن يتّخذ خضوعه للغيرين سياسة ينتهجها ، عساهم يبقونه على العرش فأبى ، ورأى استلاب عرشه ، أفضل من النّزول عن شرفه

قالـوا : الخضـوع سياسةٌ   فليبـد منك لهـم خضـوع
وألذ من طعـم الخضـو   ع على فمى السّـمّ النّقيـع
إن يسـلب القـوم العـدا   مُلكى ، وتُسلِمنى الجمـوع
فالقـلب بين ضـلوعه   لم تسـلم القـلب الضّـلوع
لم أُستلب شـرفَ الطّبا   ع ، أيُسلب الشّرفُ الرّفيع ؟!

واستقبل المعتمد أسره ، لا بالثّورة والتّهديد والوعيد ، ولكن بالبكاء والنّحيب ، فلم نر فى شعره حديثا عن أنصار سيثورون ، وإنما رأينا استسلاما لآسريه ، وبكاء على ماضيه . خرج به يوسف بن تاشقين إلى العدوة بعد أن خلعه ، فوصل إلى موضع منها ، وأهل البلد خارجون للاستسقاء فقال :

خرجوا ، ليستسقوا ، فقلت لهم: دمعى ينـوب لكم عن الأنواء
قالوا : حقيق ، فى دموعك مقنع   لكنّهـا ممـزوجة بـدماء

ولم نره طول مدّة مقامه فى الأسر متوعّدا ولا ثائرا ، بل يائسا مستسلما لم يمرّ به أمل العودة إلى سابق مجده إلا مرورا عابرا ، كما يمرّ به فى حلم إذ يقول :

فيا ليت شعرى ، هل أبيتنّ ليلة   أمامى وخلفى روضـة وغدير
تُراه عسيرا ، أم يسيرا مناله   ألا كلّ ما شـاء الإله يسـير

ولم نحسّ بروح الثّورة فى شعر المعتمد وهو أسير إلّا عندما بلغه نبأ ثورة ابنه عبد الجبّار، فهنا يذكر المعتمد السّيف الّذى طال رقاده فى جفنه ، والرّمح الّذى عطش إلى شرب الدّماء ، والجوادَ وقد حيل بينه و بين ارتقاب غرّة فى العدو فينادى قائلا :

ألا شرفٌ يرحم المشرفى مما به من شمات الوتين
ألا كرم يُنعش السّمهرىّ ويشفيه من كلّ داء دفين
ألا حنّــة لابن مَحنيّــة شديدِ الحنين ضعيف الأنين

بل إنّ ذكرى مجده ومجد آبائه الغابر ، فى القصيدة الفخريّة الّتى أنشأها فى الأسر، لم تكن لتثير فيه الطّموح إلى إعادة هذا المجد ، بل يسلّى نفسه فيها بقوله :

وإذا ما اجتمع الدّين لنا فحقير ما من الدّنيا افترق

فالسّائد فى شعره روح الاستسلام ، لجور الدّهر وظلم الأيّام . يوصّى نفسه بالصّبر ، ويدعوها إلى تحمّل الـكُرَب ، ويوطّنها على الـكره ، عسى الله أن يأتى بالفتح أو أمر من عنده ، فيقول :

اقنع بحظّك فى دنياك ما كانا وعزّ نفسك ، إن فارقت أوطانا
فى الله من كلّ مفقود مضى عوضٌ فأشعر القلب سـلوانا و إيمـانا
أما سمعت بسلطان شبيهك قد بزّته سود خطوب الدّهر سلطانا
وطّن على الـكره وارقب إثره فرجا واستغنم الله تغنم منه غفرانا

كان هذا الأسر القاسى ، وما عومل به من إذلال فيه والموازنة بين حاضره وماضيه مدعاة لإثارة شجونه و إدماء عيونه . وها هو ذا يصف لنا عيدا حزينا

أقبل عليه فى منفاه، وقد دخلت عليه بناته، يلبسن ثيابا أخلاقا، وفى أيديهنّ المغزل، يغزلن به للنّاس، حتّى لمن كان لهنّ بالأمس خادما، فثارت فى خاطره أطياف السّعادة الماضية، فتمزّق قلبه، وقال :

فيما مضى كنت بالأعياد مسرورا ... فساءك العيد فى أغمات مأسورا
ترى بناتك فى الأطمار جائعة ... يغزلن للناس، ما يملكن قطميرا
برزن نحوك للتسليم خاشعة ... أبصارهن، حسيرات مكاسيرا
يطأن فى الطّين، والأقدام حافية ... كأنّها لم تطأ مسكا وكافورا
قد كان دهرك إن تأمره ممتثلا ... فردّك الدّهر منهيّا ومأمورا

وكثيرا ما كان يتذكر قصوره بالأندلس، فيحنّ إليها، ويحسّ كأنها تبكى أيّامه الزّاهرة، ولياليه المتلألئة، ويشعر على البعد بما ارتدته من الذّلّ والوحشة بعده.

ومما ضاعف أساه، هذا القيد الّذى غلّت به قدماه، وشعره ملىء بالحسرة الّتى تمزق قلبه لهذا القيد الثّقيل، الذى يراه يتلوّى كالحيّة الرّقطاء، ذا أيد وبطش كالأسد. ومن أروع شعره فى ذلك حديثه إلى القيد، وقد دخل عليه ابنه أبو هاشم فارتاع له :

قيدى، أما تعلمنى مسلما ؟! ... أبيت أن تُشفق، أو ترحما
دمى شراب لك، واللحم قد ... أكلته، لا تهشم الأعظما
يبصرنى فيك أبو هاشم ... فينثنى القلب، وقد هشّما
ارحم طفيلا، طائشا لبه ... لم يخش أن يأتيك مسترحما
وارحم أخيّات له مثله ... جرّعتهنّ السّمّ والعلقما

ولم يكن هناك بصيص من أمل فى النّجاة والحرّيّة ينفذ إلى قلبه. وكان الهمّ يحطّمه، والأسى يرهنه، واليأس يعصر قلبه، فكان يشعر بدنو أجله، بل كان

يتخيّل هذا اليوم قد حلّ، ولعله كان يراه حدّا لآلامه وأحزانه، فرثى نفسه بأبيات أوصى أن تكتب على قبره، لم يُشر فيها لأسره، وكأنّه بذلك يريد أن يمحو من ذاكرة التّاريخ ما بلاه من الأسر والشّقاء، حيث يقول :

قبر الغريب، سقاك الرّائح الغادى حقّا ظفرت بأشلاء ابن عبّاد

بالحلم بالعلم بالنعمى إذا اتصلت بالخصب إن أجدبوا بالرّىّ للصّادى

نعم هو الحقّ، وافانى به قدر من السّماء، فوافانى لميعاد

ولم أكن قبل ذاك النعش أعلمه أنّ الجبال تهادى فوق أعواد

فلا تزل صلوات الله دائمة على دفينك لا تحصى بتعداد

* * *

وقبل أن نختم هذا الفصل، نشير إلى صلة المعتمد بالشّعراء فى منفاه، فقد استقبله فى طنجة الحصرىّ الشّاعر، وأقبل يلحّ عليه فى العطاء، ورفع إليه شعرا، فبعث اليه المعتمد بأكثر ما كان معه من مال قليل، واعتذر اليه بقطعة من الشّعر، فأخذ الحصرىّ ما أرسل اليه، ومضى مستقلا للعطاء، ولما سمع الشّعراء بعطاء المعتمد، أقبلوا عليه يسألونه فعجب من أمرهم وقال :

سألوا العسير من الأسير، وإنّه بسؤالهم لأحقّ منهم، فاعجب

لولا الحياء وعزّة لخميّة طىّ الحشا، لحكاهمو فى المطلب

ووفى له ثلاثة من شعرائه كما رأينا، هم أبو بكر الدانى، وابن حمديس، وابن عبد الصّمد . وأبى كرم المعتمد إلّا أن يرسل إلى أولهم بالقليل الذى كان يملكه، فأبى الدّانى أن يأخذ على وفائه أجرا . أمّا الثّانى فقد أقبل يريد زيارته، فصرفه بعض الخدم، فأرسل المعتمد اليه قصيدة يعتذر فيها، ولعلّه كان يرجو أن يرى

فى شاعره صورة من مجده الغابر، وأثرا من آثار عظمته وسلطانه . وأما ابن عبد الصّمد ، فانّه مضى إلى قبر المعتمد بعد صلاة العيد ، مع ملأ من النّاس ، يتوجّعون له ، ويترحّمون عليه ، ثمّ أنشد قصيدة طويلة، أوّلها :

ملك الملوك ، أسامع ، فأنادى ... أم قد عدتك عن السّماع عوادى

لما خلت منك القصور، فلم تكن ... فيها ، كما قد كنت فى الأعياد

أقبلت فى هذا الثّرى لك خاضعا ... وتخذت قبرك موضع الإنشاد

وخرّ يبكى ويعفر وجهه فى تراب قبره ، فأبكى من كان معه جميعا .

(٤)

أهمّ ما يتّصف به شعر المعتمد، الوضوح الذى يدلّ على وضوح التجربة لدى الشاعر ، فلا تعثر فى شعره على غموض ولا التواء . ومما ساعد على هذا الوضوح الوحدة فى شعره. فكلّ مقطوعة أو قصيدة تحدّث عن خاطر مرّ بنفس المعتمد، وتتضافر الأبيات فى إيضاح هذا الخاطر ، وتسير فى اتساق ونظام .

وكثير من شعره فى عهد الإمارة والملك ، مقطوعات ، تدلّ على انفعال يكفى هذا القدر فى تصويره ، مع قدرة المعتمد على الإطالة إذا أراد .

أما موسيقاه فمناسبة لهذه الانفعالات ، ولذا ترى أكثر أوزان الغزل مُطْرِبة سارّة سريعة ، كقوله :

يابديع الحسن والإحسان، يابدر الدياجى

ياغزالا ، صاد منى ... بالطّلى ليث الهياج

قد غنينا بسنا وجهك عن ضوء السّراج

وترى شعره فى الأسر يلتزم البحور الطّويلة، التىتدلّ على التأمّل والأناة ،

لا على الثّورة والجموح . وليس فى شعره فى هذا العهد موسيقى تشعر بالسرعة ، إلّا قطعته التى قالها إثر ثورة ابنه عبد الجبّار ، فهى من المتقارب السّريع الحركة ، لأنّها تعبّر عن انفعال سريع . وحركة تضطرم فى صدره ، كما اختار البحور الطويلة كذلك فى رثائه .

وتشبيهات المعتمد مألوفة ، ولكن يزيّنها مايضفيه على الشّعر من تناسب كقوله :

ياهلالا ، إذا بدا لى تجلّت عن فؤادى دُجنّة الكربات

فأنت ترى التناسب بين الهلال والدّجنّة . وحينا يفصّل التّشبيه فى الغزل زيادة فى بعث اللّذّة بتصوير من يحب حين يقول :

ياهلالا حسن خد ، يارشا غنج لحظ ، ياقضيبا لِين قَد

ولا يتّخذ المعتمد الغزل مقدّمة لقصائد مدحه لأبيه ، كما كان يفعل الشّعراء السّابقون .

ويميل المعتمد إلى الجمال الطّبيعىّ فى شعره ، فقلّ أن يلجأ إلى الصّناعة ، وإن كنت لا تعدم أن ترى هنا جناسا ، وهناك طباقا ، وهنالك لفّا ونشرا وغيرها ، ولكنّه مع ذلك يحسن الصّوغ ، فلا تحسّ بنبو ولا قلق ، وإن كنت لا أنكر أثر الكلفة فى قوله ، يدعو بعض ندمائه إلى الشّراب :

أيّها الصّاحب الّذى فارقت عيـ ـنى ونفسى منه السّنا والسّناء

نحن فى المجلس الذى يهب الرّاحـ ـة والمسمع : الغنى والغناء

نتعاطى التى تنسّى من اللّـ ـذّة والرّقة الهوى والهواء

فأته تلف راحة ، ومحيّا قد أعدّا لك الحيا ، والحياء

وزادت الصّناعة من جمال قوله ، يتحدث عن قمريّة تنوح :

وناحت و باحت واستراحت بسرّها   وما نطقت حرفا يبــوح به سرّ

ولم تغضّ الصناعة من جمـال مقطوعته الغزلية التى جعل فى أوّل كل بيت منها حرفا من حروف زوجه اعتماد .

والمعتمد دقيق ذو ذوق مرهف فى اختيـار ألفاظه التى توحى إلى القارئ بخاطره ، وخذ مثلا لذلك كلمة الأوار . الّتى توحى إليك بلهيب النّار ، وقد دلّ بها على نيران المعركة ، وكلمـة تخيص المصغرة . وهى توحى بضآلة جسم ابنـه أبى هاشم وهـذا فى البيتين اللّذين أوردناهمـا فى معركة الزّلاقة . وتأمّل كلمـة مسيحا " فى قوله يسترضى أباه :

سخطك قد زادنى سقاما   فابعث إلىّ الرّضا مسيحا

لترى ما توحى به إلى نفسك من مقدرة المسيح عيسى على الإبراء ، وما فى الكلمة نفسها من دلالة على مسح آثار الدّاء . وهو يصف اللّيل بالاعتكار ، ويضيف الوسواس للحلىّ ، ويصف النّفَس بالنرجسىّ فى قوله :

فلاقتـك بالنّفس النرجسىّ   وراقتك بالملبس العسجدى

وكلّ ذلك دليل الدقّة فى اختيار الألفاظ .

وقوافى الشّاعر محكمة فى أبياتها ، لا تشعر فيها بقلق ولا اضطراب ، بل هى مستقرّة مطمئنّة ، تشعرك بقدرة الشّاعر على تذليلها .

وبعد فإنّ على شعر المعتمد بن عباد مسحة من الحسن ، تأسر النّفس ، وتملك الحسّ ، لصدق العاطفة التى انبعث عنها ، وجمال الأسلوب الّذى صيغ فيه .

من أقوال مؤرّخيه

ممـا قاله الفتح بن خاقان فى كتابه قلائد العقيان[1] :

" . . . وكانت حضرته مطمحا للهمم ، ومسرحا لآمال الأمم ، وموقفا لكلّ كمىّ ، ومقذفا لذى أنف حمىّ ، لم تخل من وَفد ، ولم يصح جوّها من انسجام رِفد ، فاجتمع تحت لوائه من جماهير الكماة ، ومشاهير الحماة ، أعدادٌ يغصّ بهم الفضا ، وأنجاد يُزهى بهم النّفوذ والمضا ، وطلع فى سمائه كلُّ نجم متّقد ، وكلّ ذى فهم منتقد ، فأصبحت حضرته ميدانا لرهان الأذهان ، وغاية لرمى هدف البيان ، ومضمارا لإحراز خصل ، فى كلّ معنى وفصل ، فلم يرتسم فى زمانه إلّا بطلٌ نجد ، ولم يتّسق فى نظامه إلّا ذكاءٌ ومجد ، فأصبح عصره أجمل عصر ، وغدا مصره أكمل مصر ، تُسفح فيه ديم الكرم ، ويُفصح فيه لسانا سيف وقلم ، ويفضح الرّضا فى وصفه أيام ذى سلَم . . . "

وممـا قاله ابنُ بسّام فى الذّخيرة[2] :

"وقد كان متمسّكا من الأدب بسبب ، وضاربا فى العلم بسهم ، وله شعر كما انشقّ الكِمام عن الزّهر ، لو صدر مثله ممّن جعل الشّعر صناعته ، واتّخذه بضاعته ، لكان رائعا معجبا ، ونادرا مستغربا . . . يَرمى فيصيب ، ويَهمى فيصُوب . . . والعجب من المعتمد أنه مَرى سحابه فى كلتا حاليه فصاب ، ودعا خاطره فأجاب ، ولا تراجع له من طبع ، [فى الملك] ولا بعد الخلع ، بل يومه فى هذا الشأن دهر ، وحسنته فى هـذا الدّيوان عشر ، فان أجاد فما أولى ، وإن قصَّر فأمره واضح " .

---

(1) ص ٤ (2) المخطوطة المغربية (٢ : ١٠) .

ومما قاله المراكشى فى المعجب[1] :

"وكان المعتمد هذا يُشبّه بهارون الواثق بالله ، من ملوك بنى العبّاس : ذكاء نفس ، وغزارة أدب ، وكان شعره كأنّه الحلل المنشّرة ، واجتمع له من الشّعراء وأهل الأدب ، ما لم يجتمع لملك قبله من ملوك الأندلس . وكان مقتصرا من العلوم على علم الأدب وما يتعلّق به وينضم إليه وكان فيه مع هـذا من الفضائل الذّاتية ما لا يحصى : كالشجاعة والسّخاء والحياء والنّزاهة ، إلى ما يناسب هذه الأخلاق الشّريفة . وفى الجملة فلا أعلم خصلة تحمد فى رجل إلّا وقد وهبه الله منها أوفر قسم ، وضُرب له فيها بأوفى سهم . وإذا عدّت حسنات الأندلس من لدن فتحها إلى هذا الوقت فالمعتمد هذا أحدها بل أكبرها" .

ومما قاله ابنُ خلّكان فى كتاب وفيات الأعيان[2] :

"قال أبو الحسن علىّ بن القطّاع السّعدى ، فى كتاب "لمح الملح" فى حقّ المعتمد : إنه أندى ملوك الأندلس راحة ، وأرحبهم ساحة ، وأعظمهم ثمادا ، وأرفعهم عمادا ، ولذا كانت حضرته مَلقى الرحال وموسم الشعراء ، وقبلة الآمال ومألف الفضلاء ، حتّى إنه لم يجتمع بباب أحد من ملوك عصره من أعيان الشّعراء ، وأفاضل الأدباء ، ما كان يجتمع ببابه ، وتشتمل عليه حاشيتا جنابه" .

ومما قاله لسان الدين بن الخطيب فى كتابه أعمال الأعلام[3] :

"كنيته أبو القاسم ، وهو الجواد الشّجاع البايغ ، ذو الأخبار الشّهيرة الذّكر ، والأنباء المأثورة فى الدّهر ، قال ابن الصّيرفىّ : "المعتمد على الله محمد بن عبّاد

(1) ص ٧١
(2) ـ ٢ ص ٤١٢
(3) ٢ : ١٨٣

نسيجُ وحده فى الجود ، وأصلبُ نظرائه مكسِرَ عود ، فذّا فى البلاغة ، طرفا فى الشّعر والكتّابة ، بارع النّظم والنّثر ، كثير الأدب ، جزل الألفاظ ، كثير المعانى ، حسن المآخذ ، لدنَ معاطف الكلام ، رقيق الحاشية ، كثيف المتن ، كثير البديع ، رائق الديباجة ، لائق الاستعارة ، حسن الإشارة ، جمّ التّوليد ، لم يُنشده من الوزراء والشّعراء أشعرُ منه ، على كثرة ما اجتاب إليه ، من أعلاق الثّناء ، ونثر عليه من درّ الحمد ، ووضع فى يديه من حرّ القريض".

ومما قاله صاحب قلادة النحر(1):

"كان المعتمد ملكا جليلا ، وعالما ذكيا ، وشاعرا محسنا ، وبطلا شجاعا ، وجوادا ممدّحا ، كان بابه محطّ الرّحال ، وكعبة الآمال".

(1) القسم الثانى من الجزء الثانى المصور بدار الكتب ص ٦٣٣

ديوانه

لم يدون المعتمد شعره فى ديوان ، ولم يجمعه أحد ممّن جاء بعده ، و إنما كان شعرُه متفرّقا منثورا ، فى صحائف التاريخ وكتب الأدب . ماخلا مجموعا صغيرا ملحقا بديوان ابن زيدون ، لا يجمع إلّا النّزر اليسير من شعره .

وكما أنّ شعره لم يُجمع من قبل فى سفر واحد . كذلك لم يقم أحد بتحقيقه . وتلك كانت مهمتنا : بجمعنا ما استطعنا جمعه من شعره ، وحقّقناه تحقيقا فنّيا ، وأرّخنا بعض قصائده . بربطها بحوادث التّاريخ ، فمهّدنا بذلك سبيل البحث للأديب ، عند ما يريد دراسة فنّ الشّاعر ، ومؤرّخ التّاريخ الإسلاميّ ، حين يستشهد بالشّعر على أحداث التّاريخ .

وقد استقينا هذا الدّيوان من الأصول الأساسيّة الآتية :

(١) أعمال الأعلام ، فيمن بويع قبل الاحتلام ، من ملوك الإسلام ، (للسان الدين بن الخطيب) الجزء الثالث الذى نشره ليفى بروفنسال (الرّباط سنة ١٩٣٤)

(٢) بدائع البدائه لابن ظافر (ط مصر سنة ١٢٧٨ هـ)

(٣) البيان المغرب لابن عذارى . نشره ل . بروفنسال سنة ١٩٣٠ الجزء الثالث .

(٤) تاريخ أبى الفداء (ط باريس سنة ١٩٣٠)

(٥) تاريخ ابن الوردى (طبع مصر سنة ١٢٨٥ هـ)

(٦) تاريخ بنى عبّاد . (Historia Abbadidarum.)

وهو مجموع ما كتبه الفتح بن خاقان فى المطمح والقلائد ، وابن بشكوال فى الصّلة، وابن بسّام فى الذخيرة ، والعماد فى خريدة القصر. الخ جمعه دوزى (ط سنة ١٨٤٦) .

(٧) تزيين قلائدالعقيان: شرح لمحمد بن قاسم بن زاكور، على قلائد العقيان. نسخة خطية ، بالمكتبة التيمورية رقم ٣١٣ تاريخ .

(٨) الحلل الموشية لابن الخطيب (ط تونس) .

(٩) الحلة السيراء لابن الأبار نقلا عن دوزى فى كتاب (تاريخ بنى عباد) .

(١٠) خريدة القصر للعماد الأصفهانى . المجلّد الحادى عشر. من مصوّرة بدار الكتب ٤٢٥٥ أدب ، منقولة عن باريس .

(١١) ديوان ابن زيدون : نسختّان خطيتان بدار الكتب احداهما رقم ٤٩٦ أدب والثانية رقم ٥٥٥ أدب .

(١٢) ديوان ابن حمديس (ط روما) ١٨٩٧

(١٣) الذخيرة ، فى محاسن أهل الجزيرة ، لابن بسّام :

الجزء الثّانى من نسختين خطّيتين بالقلم المغربى بدار الكتب ، إحداهما رقم ٢٢٦٧ ورمزنا اليها برقم ا .

والثّانية رقم ٣٧٦٢ ورمزنا اليها برقم ب .

(١٤) رايات المبرزين ، لعلى بن موسى الشهيربابن سعيد. تيمور، خط ٢٥٣٣

(١٥) روض القرطاس ، لأبى الحسن علىّ بن أبى زرع طبع أو بساله سنة ١٨٤٣

(١٦) شذرات الذهب ، لابن العماد الحنبلى – الجزء الثالث . (ط مصر سنة ١٣٥٠) .

(١٧) عقد الاجياد فى الصافنات الجياد ، لعبد القادر الجزائرى (طبع سنة ١٩٢٣) .

(١٨) الغيث المسجم فى شرح لامية العجم لصلاح الدين خليل بن أيبك الصّفدى ، المتوفى سنة ٧٦٤ (ط مصر) .

(١٩) قلائد العقيان للفتح بن خاقان – (ط بولاق سنة ١٢٨٣) .

(٢٠) قلادة النحر لأبى محمد محمد الطّيّب بن عبد الله ، من علماء القرن العاشر الهجرى .

نسخة مصوّرة بدار الكتب رقم ١٦٧ تاريخ .

(٢١) الكامل لابن الأثير – الجزء العاشر . (ط ليدن سنة ١٨٥٣)٠

(٢٢) مجموع من شعر المعتضد بن عباد وابنه المعتمد ملحق بديوان ابن زيدون رقم ٤٩٦ – أدب بدار الكتب .

وهو مخطوط ، يبدأ شعر المعتمد فيه من صفحة ١٩٤ إلى صفحة ٢٢٠ ورمزنا اليه بالمجموع ا

(٢٣) مجموع من شعر المعتمد والمعتضد ملحق بديوان ابن زيدون رقم ٥٥٥ أدب بدار الكتب وهو مخطوط أيضا ورمزنا اليه بالمجموع (ب) .

(٢٤) المرقصات والمطربات لابن سعيد . (ط مصر سنة ١٢٨٦) .

(٢٥) المطرب من أشعار أهل المغرب لابن دحية . نسخة مصوّرة بدار الكتب رقم (ز) ١٠٣١٠ عن نسخة بالمتحف البريطانى .

(٢٦) مطمح الأنفس للفتح به خاقان . صاحب قلائد العقيان (ط القسطنطينية سنة ١٣٠٢) .

(٢٧) المعجب للمراكشى (ط ليدن سنة ١٨٨١) .

(٢٨) نفح الطيب للسان الدين بن الخطيب (ط مصر سنة ١٢٧٩ وط أوربا).

(٢٩) وفيات الأعيان لابن خلكان (ط مصر)

وثمة كتب أخرى رجعنا إليها فى تحقيق الديوان منها :

الإحاطة فى أخبار غرناطة .

الأعلام للزركلى .

تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين لأشباخ ، ترجمة الأستاذ محمد عبد الله عنان .

تراجم إسلامية ، للأستاذ محمد عبد الله عنان .

الحلل السندسية ، لشكيب أرسلان .

دواوين بعض الشعراء .

عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ، لابن أبى أصيبعه .

المغرب لابن سعيد ، مخطوط (دار الكتب تاريخ ١٠٣) .

أسبانية الإسلامية (دوزى) . (Spanish Islam.)

تكملة المعاجم العربية (دوزى) . (Supplément aux Dictionnaires Arabes)

تاريخ الأدب العربى (نيكلسون .A. Literary History of the Arabs

القسم الأول

عهد الإمارة والملك

(١)

غَزَلٌ وَخَمْرٌ

قافيــةُ الألف

قال المعتمد[١] على الله محمّد بن عبّاد[٢] :

الصُّبــح قــد مزَّق ثوبَ الدجى   فمزِّق الهــمَّ بكَفِّى مَهَــا

خُذ باسْمِهَا[٣] من ريقها[٤] [قهوةً][٥]   فى لونـ خدَّيها تُجـلِّى الأسى

---

(١) لقب ابن عباد بالظافر بحول الله (المعجب ٧٤ ، والبيان المغرب ٣ : ٢٧٣) والمؤيد بالله ، وقد خاطبه بذلك الشعراء ، مثل ابن عمار فى قوله

ألا إن بطشا للمؤيد يتقى   ولكن عفوا للمؤيد راجح

والدانى فى قوله

كان المؤيد بستانا بساحتنا   يجنى النعيم وفى عليائها فلكا

ثم المعتمد على الله وهو اللقب الذى لزمه وشهر به .

انظر قلائد العقيان ص ٢٤ وتزيين قلائد العقيان ص ١٤

(٢) هذا النص من خريدة القصر (١١ : ١٤٧) .

(٣) فى الأصل « بلدنها » ولعل الصواب ما أثبتنا .

(٤) يريد أن الخمر كأنما عصرت من ريقها .

(٥) تكملة لسقط بالأصل يقتضيها الوزن والمعنى . والقهوة : الخمر .

وقال وهو عليل ، وقد زارته سحر جاريته[1] :

سأســأل رَبّى أن يُديم بى الشَّكوى
فقد قَرَّبَتْ من مَضْجَعى الرَّشَأَ[2] الأَحْوى[3]

إذا علّةٌ كانت لقــربك علَّةً
تَمنَّيتُ أن تَبقى بجسمى وأن تَقــوى

شكوتُ ، وسِحْــرٌ قد أغبّت زِيارتى
فجاءت بهــا النُّعمى ، الّتى سُمِّيتْ بَاوى

فيــا علّتى ، دُومى[4] فأنتِ حبيبةٌ
ويارَبِّ سَمـعًا من ندائى والشّكوى

وأنشد له أبو الوليد الشُّقندى ، فى كتاب ظرف الظرفاء ، وقد مر على كرمة فتعلقت بردائه[5] :

مررْتُ بكَرمـة جَذَبت ردائى فقلت لهــا : عزمت على أذَائى
فقــالت : لِمْ مررتَ ولم تُسـلِّم وقد رُويت عظامُك من دمائى؟!

---

(١) هذا النص من خريدة القصر (١١ : ١٤٧) .

(٢) الرشأ : الغزال إذا تحرك ومشى .

(٣) يقال شفة حواء : إذا كانت حمراء تضرب إلى السواد .

(٤) فى الأصل « ذوق » تحريف .

(٥) هذا النص من رايات المبرزين ص ٧

قافية الباء

وقال فى جاريته جوهرة[١] :

جَوهرُ ، قــد عذَّبَنِي منكِ تمَـادى الغَضبِ
فـزَفْـرتِي فى صَـعَدٍ وَعَــبْرَتِي فى صَــبَبِ
يا كوكبَ الحُسنِ الّذى أزرَى بزُهرِ الشُّهُبِ
مَسْكَنُكِ[٢] القلبُ فـلا تَرْضَىْ له بالوصَبِ

وقال[٣] :

وأَغَنَّ[٤] يلعبُ بالهموم كما غَدت أرماحُ قومى بالعُـدَاة لواعبَا
ذى نَغْمةٍ يَسبِي القلوبَ بها[٥] رَشاً[٦] من عند رِضوانٍ أتَانا هارِبَا

وقال[٧] :

وربَّ[٨] ساقٍ، مُهفْهَفٍ[٩]، غَنِجٍ قَام ليَسْقِى ، فجَاء بالعجَبِ
أبْدَى[١٠] لنا من لَطيف حِكمته فى جَامِد المـاءِ، ذائبَ الذَّهبِ

---

(١) هذا النص من خريدة القصر (١١ : ١٤٩) .

(٢) فى الأصل « سكنك » تحريف .

(٣) هذا النص من المجموع أ ص ٢٠٩

(٤) الأغن من الغزلان وغيرها : الذى فى صوته غنة .

(٥) فى الأصل « الها » تحريف .

(٦) فى المجموع ب « الرشا » .

(٧) هذا النص من خريدة القصر (١١ : ١٤٩) والمطرب ص ١٥ ، وقلائد العقيان ص ٩ ، ونفح الطيب (أوروبا ٢ : ٦٢٣) .

(٨) فى القلائد ونفح الطيب " لله " .

(٩) فى اللسان والقاموس : هفهف الرجل اذا مشق بدنه فصار كأنه غصن يميد ملاحة . . ويقال جارية مهفهفة ومهففة : إذا كانت ضامرة البطن دقيقة الخصر .

(١٠) فى نفح الطيب والقلائد « أهدى » .

قافية التّاء

وقال من أبيات فى فتاة وَدَّعها[1] :

ولمَّا التقَينا للوَدَاعِ غُدَيَّةً ... وقدخَفقَتْ فى ساحة القصر راياتُ

وقُرِّبَتِ الجردُ العتاقُ ، وصُفِّقت ... طُبولٌ ، ولاحت للفراق علاماتُ

بكينا دمًا ، حتى كأن عُيونَنا ... لجرى[2] الدّموعِ الحمرِ منها جِراحَاتُ

وكنَّا نُرجِّى الأوب بعد ثلاثة ... فكيفَ وقد طالت عليها زياداتُ

وقال[3] :

يا هلالًا ، إذا بَدا لى تجلّت ... عن فؤادى دُجُنَّةُ الكُرُباتِ

وغزَالًا لمقلتيه بقَلبى ... فتَكاتٌ كأنّها فتكاتى

تِهتَ إذ حُزتَ بالوصال وبالهجر ... حياتى تَمَلُّكًا ومَماتى

فترفّق بمدنَفٍ ، أنت منه ... فى سواد القُلوب والحدَقات

أنا أخشى عليك يا ساكنَ القلب ... المعنَّى بالصدِّ ، من نَفَراتى

---

(١) هذا النص من المطرب ص ١٥ ، وقلائد العقيان ص ٩ ، ونفح الطيب (أوروبا ٢ : ٦٢٣) وخريدة القصر (١١ : ١٤٩) ووفيات الأعيان ٢ : ٤٢ والمجموع ا ص ٢٠٦ وقد انفرد برواية البيت الثانى والأخير .

(٢) فى المطرب والقلائد وابن خلكان « يجرى » وفى النفح « تجرى » وما أثبتنا عن المجموع .

(٣) هذا النص من المجموع ا ص ٢٠٧

قافيه الجيم

وقال[١] :

يا غُرَّةَ الشمس التى ... قَلبى لهـا أحدُ البرُوجْ
لَولاكِ لم أكُ مُؤثِرًا ... فَرشَ الحرير على السُّروجْ

وقال[٢] :

يا بديعَ الحسن والإحسَـــان ، يا بَدر الدَّيَاجِى
يا غزالًا ، صـاد منى بالطُّـلَى[٣] ليثَ الهيَـاجِ
قد غَنِينا بسَـنا وجـــهك عن ضَــوء السِّراجِ

قافية الحـاء

وقال يستدعى عودا للغناء[٤] :

غَلَبَ الكَرى ، ونتْ مطايَا الراجِ ... واشتَقْن شَدو حُداتِهـا النُّصَّاحِ
فابعَثْ نشاط سَئومِها وحَسيرِها[٥] ... بغِناء حاديهــا أخى الإفصاحِ
ليقيمَ ذاك العـودُ من رَسْمِ السُّرى ... ويعودَ فى الأجسـام بالأرواحِ
فنسـيرَ فى طُرق السّرورِ ، ونهتدى ... بخفيّهِن[٦] بأنجُمِ الأقـداحِ

(١) هذا النص من الذخيرة (أ ٢ : ١١ و ب ٢ : ١٤) والمجموع ا ص ٢٠٣

(٢) هذا النص من المجموع ا ص ٢٠٨

(٣) الطلى بالضم : الأعناق .

(٤) هذا النص من جريدة القصر (١١ : ١٥٠)

(٥) حسر البعير : ساقه حتى أعياه .

(٦) الباء هنا بمعنى « فى » .

قافية الدّال

وقال[١] :

كتبتُ وعندى من فراقك ما عندى ... وفى كبدى[٢] مافيه من لَوعة الوجْدِ

وما خَطَّتِ الأقلامُ إلا وأدمعى ... تَخطُّ سُطور الشَّوق فى صَفْحة الخدِّ

ولولا طِلابُ المجد زرتُكِ طيّه ... عميدًا[٣] ، كما زار النّدى ورق الورْد

فقبّلتُ ما تحت اللّثام من اللّمَى[٤] ... وعانَقتُ ما فوق الوشاح من العقد

أغائبةً[٥] عنّى وحاضرةً معى ... لئن غبتِ عن عينى ، فإنّك فى كِبْدى

أقيمى على العَهد الّذى كان بيننَا ... فإنّى على ما تعلَمين من العهد

وقال[٦] :

حرّم النّومَ علينا ورقَد ... وابتلانَا بهواهُ ثُمَّ صَدْ

ياهلالاً حُسْنَ خدٍّ ، يارشَا ... غُنُجَ لحظٍ ، ياقضيبًا لِينَ قد

بودادى لك ، بالشوق الّذى ... فى فؤادى ، لا تَدَعنى للكمَد

لست أَرضى عن زمانِى أوأرى ... منك حُسنًا لا أراهُ من أحد

---

(١) هذا النص من خريدة القصر (١١ : ١٤٦) والمجموع ا ص ١٩٧ وروايات المبرزين ص ٧

(٢) فى المجموع ا « فى خلدى » وفى روايات المبرزين « وشوق كمن قد بان عن جنة الخلد » .

(٣) يقال عميد ومعمد كمعظم : لمن هده الشوق .

(٤) اللمى : سمرة فى الشفة .

(٥) هذا البيت وتاليه وردا فى المجموعين ا ، ب .

(٦) هذا النص من خريدة القصر (١١ : ١٤٨) .

وقال من أبيات[١] :

قلت : متى ترحمُني ؟ قال : ولا طـولَ الأبَدْ
قلتُ : فقــد أيأسْتنى من الحياة ، قال : قَدْ

وقال[٢] :

لاحَ ، وفاحَتْ روائحُ النَّدِّ[٣] مُهتَصَرُ[٤] الخصْرِ ، أهيفُ القَدِّ
وكم سقانى ، والليلُ معتكرٌ ، فى جامد المـاء ذائبَ الورْد

وقال[٥] :

أباحَ لِطيفى طيفُهـا الخــدَّ والنَّهدَا فعضَّ به تُفاحةً ، واجتَنى وَردَا
وأثمنى ثغــراً شَمَمْتُ نســيمَه نخُيِّلَ لى أنّى شَمَــمْتُ به نَدَّا[٦]
ولو قَدرتْ زَارت على حال يقظةٍ ولكنْ حِجـابُ البين ما بيننا مُدَّا
أمَا وجدتْ عنّا الشُّجونُ[٧] معرَّجا[٨] ولا وجدت منا خُطوبُ النّوى بُدَّا
سقى الله صوب القطر أمَّ عُبيدة كما قد سَــقَتْ قلبى على حرّه بَردَا
هى الظّبي جيـدًا ، والغزالةُ مقـلةً وروض الرُّبا عَرفًا[٩] ، وغُصن النَّقا قَدّا

---

(١) هذا النص من خريدة القصر (١١ : ١٤٩) .

(٢) هذا النص من المصدر نفسه (١١ : ١٤٩) والمطرب ص ١٥

(٣) الند بفتح النون وكسرها : ضرب من الطيب يدخن به .

(٤) الهصر : الجذب والإمالة وعطف شيء رطب كالغصن ونحوه . وفى الأصل « مختصر » تحريف .

(٥) هــذا النص من قلائد العقيان ص ١٠ . ونفح الطيب (أوروبا ٢ : ٦٢٣) والمجموع ا ص ٢٠٣ والمجموع ب .

(٦) ورد البيت فى موضعه هذا بالمجموع .

(٧) فى المجموع « الشئون » .

(٨) معرجا : تعريجا أى ميلا .

(٩) فى المجموع « فوحا » .

وقال[١] :

وشادنٍ أسألُه قهوةً   فجاء بالقهوةِ والوردِ
فبتّ أسقَى الراحَ من رِيقه   وأجتنى الوَردَ من الخدّ

وقال فى جاريته سِحر[٢] :

عفا اللّه عن سِحرٍ على كلّ حالَة   ولا حُوسبتْ عمّا بها[٣] أنا واجِدُ
أسِحرُ ، ظلمت النّفسَ واخترت فُرقتى   فجَمّعتِ أحزانى وهُنّ شَوارِدُ
وكانت شُجونى باقترابك نُزّحًا   فها هنّ ، لمّا أن نأيتِ ، شواهِدُ

ومنها :

فان تستلذّى بَردَ مائك بعدنا   فبعدَك ما ندرى متَى الماءُ بارِدُ[٤]

وقال فى زوجه « اعتماد »[٥] :

أغائبةَ الشّخص عن ناظرى   وحاضرةً فى صميم الفؤادِ
عليكِ سلامٌ بقدر الشّجو   ن ، ودمع الشُّؤون ، وقدر السُّهادِ
تملّكتِ منّى صَعبَ المَرا   م ، وصادَفتِ وُدّى سَهلَ القيادِ
مُرادىَ لُقيَاك فى كلّ حينٍ   فياليتَ أنّىَ أُعطى مُرادى
أقيمى على العهد ما بيننا[٦]   ولا تَستَحيلى لِطُول البِعَاد
دَسَستُ اسمَك الحُلوَ فى طيّه   وألّفت فيه حروف « اعتماد »[٧]

---

(١) هذا النص من المجموع ا (٢٠٧) .
(٢) هذا النص من الذخيرة (أ ٢ : ١١ ، ب ٢ : ١٤) ونسخة دوزى (تاريخ العباديين ص ٦٨) .
(٣) هذه رواية الذخيرة وفى دوزى «ولا حوسبت عنى بما أنا واجد» .
(٤) هذا البيت ساقط من الذخيرة وما أثبتنا من دوزى ص ٢٩٩
(٥) ورد هذا النص فى المجموع ا (ص ١٩٧) .
(٦) فى الحلة السيراء (فى بيننا) .
(٧) الحروف الأولى للأبيات تكون اسم « اعتماد » .

وقال[1] :

إنى رأيتُــك فى المنَام ضَجيعَتِى ... وكأنَّ ساعدَك الوثيرَ وسَـادِى
وكأنَّمـا عانقْتِنِى ، وشكوتِ ما ... أشكُوهُ من وجدى وطولِ سُهادى
وكأنَّنى قبَّلت ثَغرك والطُّلى[2] ... والوجْنَتين ، ونلت منكِ مُرادى
وهواكِ ، لولا أن طيفَكِ زائرٌ ... فى الغِبِّ لِى ، مَا ذقتُ طعمَ رقاد

وقال[3] :

ألكُمْ إلى الصّبّ الشّجىّ مَعادُ ... فتُفَكَّ عنــهُ للأَسى أصْفَـادُ
رحَل اصطبارى إذ رحلتم قائلاً ... أوبُ الأحبَّةِ بيننا الميعَـادُ
يامن ثَكِلتُ دنُوَّهم ووصالَهم ... فَبَدَا علىَّ من الشُّحوب حِدَادُ
كم بتُّ منــكُم بين غُصنَىْ بانَةٍ ... كالسّيف تضغطُ متنَه الأغمَـادُ

وقال فى زوجه[4] " اعتماد "[5] :

أدَارَ النَّوى كم طال[6] فيك تَلَدُّدى[7] ... وكم عُقِّتِنِى[8] عن دَار أهيَفَ أغْيَدِ
حلفتُ به لو قد تَعرَّض دُونَه ... كُمَاةُ الأعادى فى النَّسيج المَسَرَّدِ

---

(١) هذا النص من المجموع ا (ص ١٩٨) .

(٢) الطلى بالضم : الأعناق .

(٣) هذا النص من المجموع ا (ص ١٩٧) .

(٤) صدر الفتح مطلع القصــيدة فى المطمح ص ١٠ بقوله " وهو القائل وقد حن [إلى أهله] وهو فى طريقه إلى أفريقية " . ولعل ذلك عندما ذهب إليها فى المرة الأولى يستنجد بيوسف بن تاشفين .

(٥) هذا النص من المجموع ا ص (٢٠٢) ومطمح الأنفس ص ١٠ . ونفح الطيب (١١٠٩) .

(٦) فى المجموع ا « دار » .

(٧) فى المطمح « تلذذى » . والتلدد : التلبث والمكث .

(٨) فى المجموع « عقنى » وفى النفح والمطمح « عقنى » ولعل الصواب ما أثبتنا .

لجرّدتُ للضّرب المهنَّـد فانقضى مُرادى ، وعزمًا مثلَ حدّ المهنّد

فما حلّ خلٌّ من فؤادِ خَليله محل "اعتماد" من فـؤاد محمّـد

ولكنّها الأقدارُ تُردي بلا ظُبًا وتُصمِى بلا قتلٍ ، وترمى بلا يد

وقال[١] :

يا ظبيــةً لَطُفَتْ منّى منازِلُها فالقلبُ منهنَّ والأحداقُ والكبـدُ

حُبّي لك النّاسُ طُرًّا يشهدون به وأنت شاهدَتى إن يَثنِهم جَسَدُ

لا يَعزُبُ الوصــلُ فيما بيننا أبدًا لوكنت واجدةً مثـلَ الّذى أجدُ

وقال[٢] :

يا ليتَ مدَّةَ بُعـدِك رشـيقةٌ مثـلُ قَـدّك

كمُـدّة الورد ، وردِ الـــرّبيــع ، لا وردِ خدّك

فَعمرُ ذا عُمْـرُ صَبرى وعُمر ذا عمـرُ صَـدّك

رضيتُ منـكَ وإن لم تُنجِـز بـلذَّة وَعدك

وقال فى جاريته : وداد[٣] :

اشرب الكأسَ فى وِداد ودادِك وتأنّس بذكرهـا فى انفـرادِك

قمـرٌ غاب عن جُفـونك مرآ هُ ، وسكنـاهُ فى سَـوادِ فؤادك

(١) هذا النص من المجموع ا ص (٢٠٥) .

(٢) هذا النص من خريدة القصر (١١ : ١٤٨) .

(٣) هذا النص من المطرب ص ١٤ ; والمجموع ا ص ٢٠١ ، وخريدة القصر (١١ : ١٤٩) .

وقال[١] :

لو زُرتَنَـا لرأيتَ ما لم تعهـد ... ذوبَ اللُّجينِ خلِيطَ ذوب العَسجَدِ

نُطفٌ يُجملهـا فقاقِـعُ[٢] منـه ما ... جَمُدتْ لتحفظَ جسم ما لم يجمُـد

قافية الرّاء

وكتب إلى ابن عمار، عند ما ولّاه[٣] على شِلب[٤] ، ويذكر عهده بها عندما كان هو واليا[٥] عليها من قبل أبيه المعتضد[٦] :

أَلَا حيِّ أوطـانى بشِلبَ ، أبا بكر ... وسَـلْهُنَّ هل عهدُ الوصال كما أدرى

وسـلِّم على قصر الشَّراجِيب عن فتًى ... له أبدًا شـوقٌ إلى ذلك القَـصْرِ

منـازلُ آسـادٍ وبيـضٍ نواعـمٍ ... فناهيك من غِيلٍ[٧] وناهيك من خِدْرِ

---

(١) هذا النص من خريدة القصر (١١ : ١٤٨) .

(٢) فقاقع : جمع فقاعة .

(٣) قال المراكشى فى المعجب فى حديثه عن ابن عمار "ولاه المعتمد مدينة شلب وأعمالها أول ما أفضى الأمر إليه فدخلها ابن عمار فى موكب ضخم ..." المعجب ص ٨٠

وقد تولى المعتمد بعد وفاة أبيه فى سنة ستين وأربعمائة أو إحدى وستين . انظر البيان المغرب لابن عذارى (٢ : ٢٨٣) .

(٤) شلب بكسر أوله وسكون ثانية وآخره باء موحدة ، قال ياقوت : " مدينة بغرب الأندلس وهى غربى قرطبة... بلغنى أنه ليس بالأندلس بعد إشبيلية مثلها . وسمعت ممن لا أحصى أنه قال : قل من ترى من أهلها من لا يقول شعرا ولا يعانى الأدب " انظر معجم البلدان (٥ : ٢٨٦) .

(٥) وقال المراكشى فى المعجب ص ٨١ "... ثم اتفق أن ولى المعتمد على الله شلب من قبل أبيه فاستوزر ابن عمار هذا فى تلك الولاية ".

(٦) هذا النص من قلائد العقيان ص ٥ . ونفح الطيب (أوروبا ١ : ٤٣٨) والمرقصات والمطربات ص ٦٠ ورايات المبرزين ص ٦ .

(٧) الغيل بالكسر : الأجمة ، منزل الأسد ، وجمعه غيول .

وكم ليلة قد بتُّ أنعمُ جُنحَها[1] … بمُخصِبةِ الأردافِ ، مُجدِبة الخَصْر

وبيضٍ وسُمرٍ ، فاعلاتٍ بمهجتى … فعالَ الصِّفاحِ البيض والأَسَلِ السُّمْر

وليلٍ بِسُدِّ[2] النّهر لهواً قطعتُه … بذات سوارٍ مثلِ منعطَفِ النَّهْر[3]

نضَتْ بُردها عن غصن بانٍ منعَّمٍ … نضيرٍ[4] ، كما انشق الكِمَامُ عن الزَّهْرِ

وباتت ، تُسقِّينى المُدام بلحظها … فمن كأسها حينًا ، وحينا من الثَّغر

وتُطربُنى أوتارُها ، وكأنَّنى … سمعتُ بأوتار الطُّلى نغَمَ البُتر[5]

وقال[6] :

دارى ثلاثتَه بلُطف ثلاثةٍ … فنَثَى بذاك رقيبَه لم يشعر :

أسرارَه بتستُّرٍ ، وأُوارَه … بتَصبُّرٍ ، وخبَالَه بتوقُّر

وقال[7] :

يا معرضًا عنّى ، ولم أَجْنِ ما … يُوجب إعراضًا ولا هَجْرَا

قد طال ليلُ الهجر ، فاجعل لنا … وصلَك فى آخره فَجْرَا

---

(١) جنح الليل بكسر الجيم وضمها : الطائفة منه .

(٢) فى المرقصات وروايات المبرزين « بمعطف النهر » .

(٣) فى قلائد العقيان ونفح الطيب « البدر » .

(٤) فى المرقصات وروايات المبرزين « فيا حسن ما » .

(٥) الطلى : الأعناق . والبتر : السيوف . والمعنى : كأنى سمعت نغم السيوف فى عروق الأعناق .

(٦) هذا النص من خريدة القصر (١١ : ١٤٧) وفى الأصل "داوى" .

(٧) « « من المصدر نفسه (١١ : ١٤٧) .

وقال[١]

أكثرتَ هَجْرى ، غير أنّك ربّما   عطفَتْــكَ أحيـانًا علىّ أمــورُ
فكأنّمــا زَمــنُ التهـاجُرِ بيننـا   ليــلٌ ، وساعاتُ الوصالِ بُدورُ

وقال[٢] :

يا صَفوتِى من البَشَرْ   يا كوكبًا ، بل يا قمــرْ
يا غُصنًا ، إذا مشَى   يا رشأً ، إذ نَظَــرْ
يانَفَسَ الرّوضةِ قــد   هبّت لهـا ريحُ سَحَــرْ
يا ربّةَ اللّحــظ الّذى   شَــدَّ وثاقًا إذ فَـتَرْ
متى أُداوِى ، يا فِـدَا   كِ السّمعُ منّى والبصَرَ
ما بفؤادى من جَوىً   بمــا بفيك من خَصَرْ[٣]

وقال[٤] :

حسدتُ كتّابى على فَوزه   بإبصارِه الغــرَّةَ الزّاهــرَهْ
فيا ليت شخصِى يكون الكتا   بَ ، فتلحظَهُ المقلةُ الساحِرَهْ

---

(١) هذا النص من خريدة القصر (١١ : ١٤٧) والمطرب ص ١٤ . والذخيرة (أ ٢ : ١ و ب ٢ : ١٣) ونفح الطيب (أوروبا ٢ : ٦٨٨) وابن خلكان (٢ : ٤٢) .

(٢) هذا النص من خريدة القصر (١١ : ١٤٧) .

(٣) فى أساس البلاغة : ثغر خصر : بارد المقبل .

(٤) هذا النص من المجموع أ (ص ٢٠٢) .

وكانت له جاريةٌ تسمّى جوهرة كان يحبها ، فكتب إليها يسترضيها فى عتاب جرى بينهما ، فأجابته برقعة لم تعنونها باسمها ، فقال[١] :

لَمْ تصفُ لى بعدُ ، وإلّا فَلِمْ   [لَمْ][٢] أرَ فى عُنوانها جوهَرهْ

درتْ بأنّى عاشــقٌ لاسمهــا   فلم تُرد للغيــظ أن تذكُره

قالت : إذا أبصره ثانيًــا   قبّـــله ، والله لا أبصَرَه

ومشت بين يدى المعتمد جاريةٌ مُسْبَلَةُ الذّوائب ، وعليها قميص ، لا تكاد تفرق بينه وبين جسمها ، فسكب عليها ماء ورد كان بين يديه ، وقال[٣] :

عُلِّقتُ[٤] جائلةَ الوشاح غريرةً   تختــالُ بين أســنَّةٍ وبَواتِرِ

وقال لبعض خدمه : سر إلى أبى الوليد البطليوسى (المشهور بالنّحلى) وخذه بإجازة هذا البيت ، ولا تفارقه حتّى يفرُغ منه ؛ فأجاب النّحلىّ ، لأوّل وقوع الرُّقعة بين يديه :

راقت محاسنُها ، ورَقَّ أديمُها   فتكاد تُبصرُ باطنًا من ظاهر

وتمايلت كالغُصن فى دعص[٥] النّقا   والتفَّ فى ورق الشّباب النّاضرِ

ينْدَى بماءِ الورد مُسْبَلُ شعرها   كالطّل يسقط من جناح الطّائرِ

---

(١) هذا النص من خريدة القصر (١١ : ١٤٨) .

(٢) تكملة اسقط بالأصل يقتضيها الوزن والمعنى .

(٣) هذا النص من نفح الطيب (أوروبا ٢ : ١٥٧) ومصر (٨٠١) وبدائع البدائه ص ٦١ .

(٤) فى بدائع البدائه « وهويت سالبة النفوس غريرة » .

(٥) ما اجتمع من الرمل .

تُزهَى برونقهـا وعـزّ جمالها ... زَهو المؤيَّد[١] بالثّناء العاطر

ملكٌ تضاءلت الملوك لقدره ... وعنا له صرفُ الزّمان الجائرِ

واذا لمحت جبينَه ويمينه ... أبصرت بدرًا فوق بحر زاخرِ

وقال[٢] :

مَشَمُّك أفوحُ فى مَعطِسى ... ووجهك أملحُ فى ناظرى

ظفِرتُ بقربِك بعد امتناعٍ ... فمن ذاك سُمّيتُ بالظّافرِ[١]

وأورد أبو الصَّلت [٣] فى الحديقة من شعر المعتمد قولَه فى جارية وقفت تحجب الشّمس عنه[٤] :

قامت لتحجبَ ضوءَ[٥] الشمس قامتُها ... عن ناظرى ، حُجبت عن ناظر الغِيَرِ

عِلمًا لعمرُك منها أنّها قمرٌ ... هل تحجبُ الشّمسَ إلّا صَفحةُ القمَرِ

---

(١) من ألقاب المعتمد وانظر ما ذكرنا ص (١)

(٢) هذا النص من المجموع (ا)ص ٢٠٣

(٣) هو أمية بن عبد العزيز بن أبى الصلت الأندلسى ، كان فاضلا فى علوم الآداب ، صنف كتابه الذى سماه بالحديقة على أسلوب يتيمة الدهر للثعالبى . وكان عارفا بفن الحكمة فكان يقال له الأديب الحكيم . انتقل من الأندلس وسكن الإسكندرية ، ونقل عنه العماد الأصفهانى كثيرا فى خريدة القصر وتوفى فى مستهل سنة تسع وعشرين وخمسمائة بالمهدية على ما رجح ابن خلكان ، وكان ميلاده سنة ستين وأربعمائة . وانظر وفيات الأعيان ١ : ١١٢ ونفح الطيب وشذرات الذهب .

(٤) هذا النص من خريدة القصر (١١ : ١٥٣) وروايات المبرزين ص ٦ والذخيرة أ ٢ : ١١ وب ٢ : ١٤ .

(٥) فى روايات المبرزين « فرص الشمس ... عن مقلتى حجبت عن أعين الغير » .

وقال[1] :

القلبُ قــد لَجّ ، فمــا يُقصر   والوجدُ قد جَلّ ، فما يُسْتَرُ

والدّمعُ جارٍ ، قطــرُه وابــلٌ   والجسمُ بالٍ ، ثوبُه أصفرُ

هذا ، ومن أعشقُه واصلٌ   كيف به لو أنَّه يهجــرُ

لــكن [2] عدتنى نائبات النّوى   فى دَوْحِه والشّادنُ الأحورُ

والـكوكبُ الوقّادُ تحت الدُّجَى   فى أُفقه ، والقمرُ الأزهرُ

والنّرجسُ الفوّاح غِبَّ النّدى   فى روضه ، والمَندَل[3] الأذْفَرُ[4]

قد خُبّرَتْ عنّىَ أنّى امرؤٌ   فيــه شحــوبٌ وضنًى يظهــرُ

فأبدتِ الإشفاقَ من حالَتِى   ومثلُ ما تُبــديه ما تُضمِرُ

واستفهمت إن كنتُ ذا علّةٍ   أو ذا اشتياق ، نارُه تُسعَرُ

سيّدتى ، لم تنصفى عاشقــا   أضحى كما أخــبرك المُخبِرُ

إذ قالت : هل من ألمٍ طائفٍ   ما بك أو شــوقٍ فمــا تَصبرُ

ظلمتِ بالشّكّ هواى الذى   يعرفــه الغُيَّــبُ والحُضَّرُ

والله ما سُقمِىَ إلّا هَوًى   كلُّ هوًى فى جنبه يَصغرُ

غَيَّر جســمى فاعلمى أنّنى   أرومُ لقيــاك ولا أقــدِرُ

فاستغفرى الله من الظُّلم لِى   فانّ مــن يظلمُ يستغفرُ

---

(١) هذا النص من المجموع أ (ص ٢٠٤) .

(٢) يظهر أن الشطر الأول من هذا البيت محذوف عجزه ، والعجز لبيت آخر حذف صدره .

(٣) المندل : العود أو أجوده .

(٤) يقال مسك أذفر : جيد إلى الغاية .

وقال فى غلام رآه يوم العروبة[١] فى العراك[٢] :

ولمّا اقتحمتَ الوَغَى دارِعًا وقنَّعت وجهــك بالمغفَرِ[٣]

حسبنا مُحيّاك شمسَ الضحا عليهـا[٤] سحابٌ من العَنْبرِ

وقال[٥] :

تمّ له الحُسن بالعــذارِ واقترن[٦] اللّيــلُ بالنّهارِ

أخضرُ فى أبيضٍ تبدّى ذلك آسِى[٧] ، وذا بهارى[٨]

فقد حوى مجلسى تمـاما إن يك من ريقه عُقارى

---

(١) فى لسان العرب والقاموس وتاج العروس (عرب) يقال ليوم الجمعة يوم عروبة و يوم العروبة بفتح العين . و يوم العروبة هذا هو اليوم الذى حدثت فيه معركة الزلاقة بالقرب من بطليوس بين جيوش المعتمد بن عباد وأمراء الأندلس والمرابطين و بين الفونس السادس ملك قشتاله وكانت الدائرة فيها على الفونس وجيشه . وقد اختلفت المصادر العربية فى تحديد تاريخ يوم العروبة :

فابن خلكان (٢ : ٤٨٤) على أنها كانت يوم الجمعة ١٥ رجب سنة ٤٧٩ هـ . والحلل الموشية ص ٤٠ وروض القرطاس ، على أنها كانت يوم الجمعة الثانى عشر لرجب سنة تسع وسبعين وأربعمائة .

وابن الأثير (١٠ : ١٠٦) على أنها كانت يوم الجمعة فى العشر الأول من رمضان سنة تسع وسبعين وأربعمائة .

والمراكشى (فى المعجب ص ٤٠) على أنها كانت يوم الجمعة الثالث عشر من رمضان سنة ٤٨٠ هـ . وشذرات الذهب (٣ : ٣٦٢) على أنها فى أول جمعة من رمضان سنة تسع وسبعين وأربعمائة .

(٢) هذا النص من خريدة القصر (١١ : ١٥٣) وقلائد العقيان ص ٨ . ونفح الطيب (أوروبا ٢ : ٦٢٦) والمجموع أ ص ٢٠٩ . وروايات المبرزين ص ٦ .

(٣) المغفر كمنبر : زرد من الدرع يلبس تحت القلنسوة أو حلق يتقنع به المتسلح .

(٤) هذه رواية المجموع وروايات المبرزين . والرواية فى باقى الأصول « عليه » .

(٥) هذا النص من خطيتى الذخيرة (أ ٢ : ١١ ، ب ٢ : ١٤) ونفح الطيب مصر (٤ : ٩٠) .

(٦) فى نفح الطيب « واختلط » .

(٧) فى أصلى الذخيرة « اسمى » تحريف .

(٨) قال أبو الوليد الحميرى فى كتابه « البديع فى وصف الربيع » ص ٩٦ "ويسمى البهار النرجس وأكثر أشعار المشرقيين اسمه فيها النرجس وأما الأندلسيون فاستعملوا الاسمين وذكروا اللفتين".

وقال وقد بعث هـذه الأبياتَ مع رسـوله إلى أبى بكر الدّانى ومعه قطيع[١] مترع من الخمر، وكأس من بلّار :

جاءَتكَ ليـلاً فى ثِيابِ[٢] نَهار من نُورها، وغِلَالة البـُلّارِ[٣]
كالمُشترِى[٤] قد نفَّ من مِرِّيخه إذ لفَّه فى المـاء — جذوةَ[٥] نار
لَطُفَ الجمود لذا[٦] وذا فتــألّفا لم يلق ضـــدٌّ ضدَّه بِنِفَار
يتحــيّر الرّاءُون فى نعتيهما أصفاءُ ماءٍ أم صـفاءُ دَرارِى

قافيه السّين

واصطبح المعتمد يوم غيم مع أمّ الرّبيع واحتجب عن النّدماء، فكتب إليه ابن عمّار[٧] :

تَجهَّمَ وجهُ الأُفق واعتلّت النَّفسُ
لأَنْ لم تَلُح للعين أنتَ ولا الشَّمسُ

(١) القطيع : اناء لخمر عند الأندلسيين . والنص من قلائد العقيان ص ٦ . ونفح الطيب (أوروبا ٢ : ٦٢٤) (ومصر ١٨٣٨) والمطرب ١٦ .

(٢) فى المطرب (شيات) والغلالة ككتابة : شعار يلبس تحت الثوب وتحت الدرع أيضا .

(٣) ليس فى القاموس واللسان « بلار » وإنما فيه بلور كتنور وسنور وسبطر . وذكر دوزى فى تكملة المعاجم بلار بضم الباء وتشديد اللام بعدها ألف بمعنى بلور . وذكر أن أهل الجزائر ينطقونها اليوم بفتح البـاء . وانظر تكملة المعاجم (١ : ١١٠) .

(٤) المشترى والمريخ : كوكبان ، أولهما ذو لون أبيض وثانيهما أحمر اللون . وهو هنا يشبه الخمر فى انائها البلورى بالمريخ وقد أحاط به المشترى كما يحيط المـاء بجذوة النار ، ووجه الشبه إحاطة شىء أبيض بشىء أحمر .

(٥) جذوة نار مفعول به (للف) .

(٦) الاشارة فى قوله لذا وذا راجعة للظرف والمظروف .

(٧) هذا النص من نفح الطيب (مصر ١١٥٥) .

فإن كان هـذا منكما عن تَوافُقٍ وضمّكما أُنسٌ ، فيهنيكما الأنسُ

فأجابه المعتمد بقوله .

خليليَّ قُولا ، هل علىَّ ملامةٌ إذا لم أغِبْ إلاّ لتحضرَنى الشّمسُ

وأُهدَى بأكواس المُـدام كواكِباً إذا أَبْصَرَتْها العينُ هشَّت لها النّفسُ

سلامٌ ، سلامٌ ، أنتما الأُنسُ كلُّه وإن غبتما ، أمَّ الرّبيع هى الأنسُ

قافية الصّاد

وقال فى جاريته جوهرة[1] :

سُرورنَا دُونكُم ناقصُ والطِّيبُ لا صافٍ ولا خَالِصُ

والسَّـعد إن طَالَعنَا نجمُه وغبتِ ، فهو الآفلُ النّاكصُ

سمَّـوْكِ بالجوهَر مظلومـةً مثـلُكِ لا يدركُهُ غائصُ

قافية العين

وقال[2] :

سَلى تَعلمى ، إن كنت غيرَ عليمةٍ بأن ليس فى حُبّى لغيرك مطمعُ

وأنّ لىَ القلبَ الّذى ليس خاليًا من الوجد ، والجفنَ الذى ليس يهجعُ

(١) هذا النص من خريدة القصر (١١ : ١٤٨)

(٢) هذا النص من المجموع ا ص ١٩٧ .

يذكّرنيكِ الغصنُ يهتزُّ عندما ... يهبُّ نسيمٌ ، والغزالةُ تطلعُ

فوالله لا أنفكّ أذكرُ موضعي ... لديك ، ولا أنفكّ نحوكَ أنزِعُ

وقال[1] :

تظنُّ بنا أمُّ الرّبيع سآمةً ... ألا غفر الرّحمنُ ذنباً تُواقعه

أأهجرُ ظبيًا في ضلوعي[2] كِناسُه ... وبدرَ تمامٍ في جُفوني[3] مَطالعه

وروضةَ حسن أجتنيها ، وبارِدًا ... من الظَّلم ، لم تُحظَر عليّ شرائعُه[4]

إذا عدِمتْ[5] كفّي نوالًا تُفيضُه ... على مُعتفيها ، أو عدوًّا تُقارعه

وقال[6] :

أسَرَ الهوى نفسي ، فعذّبها ... يومَ الوداع ، فلم تُطق منْعَا

فأذابَ حرُّ صبابتي كبِدي ... وأسالَها في وجنتي دَمْعَا

وقال[7] :

وَلَجَ الفؤاد فما عسى أن أصنعَا ... ولقد نُصحتُ ، فلم أُرِدْ أن أسمعَا

أسفي ! أَوَدُّ ولا أُوَدُّ ، وأغتدي ... وأروحُ ، أحفظُ عهد من قد ضيّعَا

---

(١) هذا النص من نسختى الذخيرة أ ٢ : ١٠ و ب ٢ : ١٣ ، والمطرب ص ١٤ ، والمجموع أ ص ٢٠٠ وخريدة القصر (١١ : ١٤٧) .

(٢) فى الذخيرة والمطرب والمجموع « فؤادى » .

(٣) هذه رواية الخريدة والمطرب . وفى الذخيرة « فى الضلوع » .

(٤) ورد هذا البيت فى موضعه هذا فى الذخيرة .

(٥) فى الخريدة والذخيرة « هجرت » وفى المجموع « سئمت » .

(٦) النص من خريدة القصر (١١ : ١٤٨) .

(٧) النص من خريدة القصر (١١ : ١٤٩) .

ما كان ظنّى أن أجودَ بمهجتى حُبًّا ، وأقنَعَ بالسّـلام فأُمنَعَا
يا هاجرين ، قد اشْتَفَيتُم ، فارفُقوا وهبُوا لعثرة عاشق لـكمُ «لَعَـا»[1]
ردُّوا ، بردّكم السّـلام ، حُشاشَةً لم تَبقَ ، لولا أنّ فيكم مَطمعَا

وناوَلَه بعض نسائه كأسَ بلّور مُترعةً شَرابا ، ولمع البرق ، فارتاعت ، فقال[2] :

ريعَتْ[3] من البرق ، وفى كَفِّهـا بَرقٌ من القهـوة لمَّـاعُ
ياليت[4] شعرى ، وهى شمس الضُّحَا كيفَ من الأنوارِ تَرتاعُ[5]

قافية الفـاء

وقال[6] :

أيا نفسُ ، لا تجزعى ، واصبرِى وإلّا فانّ الهـوى مُتلِفُ
حبيبٌ جفاكِ ، وقلبٌ عصـاكِ ولاحٍ[7] لحـاكِ ، ولا مُنصِفُ
شجونٌ مَنَعنَ الجفونَ الكَرَى وعَوَّضنَهـا أدمعًـا تَنزِفُ

---

(١) كلمة دعاء تقال للعاثر .

(٢) النص من المطرب ص ١٢ ، ونسختى الذخيرة أ ٢ : ١١ ق ب ٢ : ١٤ ، وخريدة القصر (١١ : ١٤٧) ونفح الطيب مصر (١١٢٩)

(٣) فى نفح الطيب « روعها » .

(٤) فى نفح الطيب وبدائع البدائه « عجبت منها » .

(٥) ذكر صاحب البدائع أن المعتمد حين صنع هذين البيتين أطرب بهما فاستدعى عبد الجليل بن وهبون الشاعر وأنشده البيت الأول ، فقال عبد الجليل :

ولن ترى أعجب من آنس من مثل ما يمسك يرتاع

(٦) النص من قلائد العقيان ص ٥ ونفح الطيب مصر (١١٣٨) والمجموع أ ص ٢١٠

(٧) فى اللسان (لحا) لحا الرجل لحواً : شتمه ، ولحاه يلحاه لحيا : لامه وشتمه وعنفه

قافية القاف

وقال[١] :

ثـــلاثةٌ منعَتْهـــا عن زيارتنـــا
خَوفُ الرّقيب ، وخوفُ الحاسد الحَنِقِ :
ضوءُ الجبينِ ، وَوَسواسُ الحـــلىِّ ، ومَا
تحوى مَعاطِفُهـــا من عنـــبر عَبِقِ
هَب الجبينَـــ بفضل الكُمِّ تستُره
والحلْىَ تنزِعه ، ما حَيلَة العـــرَق

وقال[٢] :

أنَا فى عَذابٍ من فِراقك نَشْوانُ من خَمْـــر اشتياقكْ
صبُّ الفـــؤادِ إلى لِقـــا ئكَ ، وارتشَـافك ، واعتناقكْ
لا تحســـبِى أنّى ســـلَو تُ ، لمـــا تَوالَى من فِراقكْ
هـــذى جُفـــونى أقسَمت لا تَلْتَـــقى ما لم تُلاقِـــكْ
فَصِـــلِى جميـــلَ الظّنّ بى وثِقِى ، فقلبِى فى وَثاقِـــكْ

قافية الكاف

وقال[٣] :

أخْلَفْتَنى وعدَك لىِ ومُخلفًـــا أعهَـــدُكَ
فَعِـــدْ بأن تَهجرنى واجْرِ على عادَتِكَ

(١) النص من قلائد العقيان ص ٥ . ونفح الطيب مصر (١١٣٨) والمجموع ا (ص ٢١٠) .
(٢) النص من المجموع ا (ص٢٠٧) .
(٣) النص من المجموع ا (ص٢١٥) .

وقال فى غلام رآه يوم العروبة[١] :

أبصرتُ[٢] طوقَك بين مُشتَجرِ[٣] القَنا ⁂ فبـدا لطرفى أنه فلكُ

أوليس وجهُـكَ فوقَه قمرًا ⁂ يُجلَى بنـيّر نوره الحَـلَكُ

قافية اللام

وقال فى زوجه (اعتماد)[٤] :

بَكَرَتْ تلومُ ، وفى الفؤاد بَلابلُ[٥] ⁂ سَفَهًا ، وهل يَثْنِى الحليمَ الجاهلُ

يا هـذه ، كُفِّى ، فإنّى عاشقٌ ⁂ من لا يَرُدُّ هَواىَ عنها عاذِلُ

حبُّ اعتمادٍ فى الجوانح ساكنٌ ⁂ لا القلبُ ضاق به ، ولا هو راحلُ

يا ظبيـةً ، سَـلَبت فـؤادَ محمّدٍ ⁂ أوَ لمْ يروِّعْك الهِـزَبرُ الباسِـلُ

من شـكَّ أنّى هـائمٌ بك مغـرمٌ ⁂ فعـلى هَـواكِ لهُ علَىَّ دلائـلُ

لونٌ كَسَـتْه صـفرةٌ ، ومـدامعٌ ⁂ هطَلَت سحائبُها ، وجسمٌ ناحلُ

---

(١) راجع ما سبق عنه فى ص ١٧

(٢) النص من قلائد العقيان ص ٨ . ونفح الطيب ١١٣٩ وخريدة القصر (١١ : ١٥٣) .
وفى الأصول « طرفك » تحريف ولعل الصواب ما أثبتنا .

(٣) مشتجر القنا بكسر الجيم : مختلطه من إضافة الصفة للموصوف ، ويصح الفتح أيضا أى مكان اشتجاره .

(٤) هذا النص من المجموع ا (ص ٢٠٢) .

(٥) البلبلة : شدة الهم والوساوس كالبلبال . والبلابل والبلبال : البرحاء فى الصدر .

وقال[1] :

لَقَلْبِي لبعـــدك عنى عليـلُ	فشوقى صحيحٌ، وجسمى عليلُ

وَوُدّى على حَسْب ما تعلمين ، تَزُول الجبال ، وما إن يزول

فــلا تَسْتحيلى لبُعـــدِ الديا	رِ ، فإنى مع البُعد لا أستحيل

وقال[2] :

مِن عاشقٍ يشكو صَباباتِهِ	إلى مُحِــبّ هـائمٍ مثــله

كلاهُمــا صبٌّ إلى إلْفِــه	حرّانُ ، ظمآنُ إلى وصــلِهِ

يا ربِّ ، عجّل جمعَ هذا بذا	وقَــرِّب الشّكل إلى شكلِهِ

وكان[3] قــد أمر بصياغة غزال وهلال من ذهب فصيغــا ، فجاء وزنُهما سبعمائة مثقال ، فأهدى الغزال إلى السيدة ابنة مجاهد ، والهلال إلى ابنه الرشيد وقال :

بعثنــا بالغَـزال إلى الغَزال	وللشّمس المنــيرةِ بالهلالِ

ثم أصبح مصطبحا ، وجاء الرّشيد فدخل عليه ، وجاء النّدماء والجلســاء ، وفيهم أبو القاسم بن المرزبان ، فحكى لهم المعتمد البيت ، وأمرهم بإجازته ، فبدر ابن المرزبان فقال :

فــذا سكــنى أَبــوّتُه فــؤادى	وذا نَجْلى أُقَـــلّدُه المعــالِي

شَغلتُ بذا الطّلا[4] خَلدى ونفسى	ولـــكنّى بــذاك رَخِيُّ بــالِ

(١) هذا النص من المجموع ا (ص٢٠٤) .

(٢) » » » » » (ص٢٠٣) .

(٣) هذا النص من نفح الطيب (أوروبا : ٢ : ٤١٥) ومصر (٤٩١) .

(٤) ولد الظبى .

دفعتُ إلى يـديه زمامَ ملـكى ... مُحـلًّى بالصّـوارم والعَـوالِي
فقـام يُقـرُّ عينى فى مَضـاءٍ ... ويسـلُكُ مسلـكى فى كلّ حالِ
فـدُمْنـا للعـلاءِ . ودام فينـا ... فإنّا للسـمَّـاح وللـنـزالِ

وقال[1] :

يُقـاتل باللحـظ محبوبُنَـا ... وبالسَّيف والرمح أمضى قتال
فطورًا يَصيد ظبـاء النّسـاء ... وطوراً يصيد أسودَ الرّجال

وكان المعتمد قد غُنِّى بين يديه بقول ابن المعتز[2] :

وخمارةٍ من بنات المجُوس ... تَرَى الزِّقَ فى بيتها سائلاَ
وزنّا لهـا ذهبـاً جامـداً ... فـكالَت لنـا ذهبـا سائلاَ

فأجازهما بقوله :

وقلنا خُذِى جوهراً ثابتـاً ... فقالت خُذوا عرضًا زائلاَ

وقال[3] :

علّل فؤادَك قـد أبلَّ عليلُ ... واغنم حياتَك ، فالبقاءُ قليلُ
لو أنَّ عُمرَكَ ألفُ عامٍ كاملٍ ... ما كان حقًّا أن يُقال : طويلُ
أكذا يقودُ بك الأَسى نحو الردى ... والعُود عُودٌ والشَّمول شَمولُ
لا يستبيك الهمُّ نفسَك عنوةً ... والكأسُ سيفٌ فى يديك صقيلُ
بالعقل تزدحم الهمومُ على الحشا ... فالعقل عندى أن تزولَ عُقولُ

(١) هذا النص من المجموع ا (ص ٢٠٩) .
(٢) « « من بدائع البدائه ص ٨٨
(٣) النص من المعجب ص ٧٢

قافية الميم

وقال[1] :

لكِ اللهُ، كم أودعتِ قلبِي منْ أسىً[2] ... وكم لكِ ما بين الجوانحِ من كَلْمِ
لِحاظكُ طولَ الدّهرِ حَربٌ لمهجَتى ... ألا رحمةٌ تَثْنيك يوماً إلى سَلْمِ

وقال[3] :

حَكَّمَهُ فى مهجتى حُسْنُهُ ... فظلّ لا يعــدلُ فى حُــكْمِهِ
أفديه ، ما ينفكُّ لى ظالمــاً ... يارَبِّ ، لا يُجْزَ على ظُلْمِهِ

وعزم المعتمد على إرسال حظاياه من قرطبة إلى إشبيلية ، فخرج معهنّ يشيّعهن فسايرهنّ من أوّل اللّيل إلى الصّبح ، فودّعهن ورجع فقال[4] :

دارَى الغرامَ ، ورام أنــ يتكتّما ... وأبى لسانُ دموعه ، فتكلّمــا
رحلوا ، وأخفى وجدَه فأذاعَه ... ماءُ الشُّجون ، مصرّحا ، ومُجَمْجِمَا
سايرتُهم ، واللّيل غُفْلٌ ثوبهُ[5] ... حتى تَراءى للنّواظــر مُعلَمــا
فوقفت ثَمّ محيراً[6] ، وتسلّبت ... منّى يدُ الإصباح تلكَ الأنجُمــا

قافية النون

وقال[7] :

يــا بــدر تِمٍّ تجلّى ... فالأرض تُشرق منــه
العجزُ خُلقٌ ذميمٌ ... فلا تُحــدّث عنــه

---

(١) هذا النص من خريدة القصر (١١ : ١٤٩) والمطرب ص ٧

(٢) فى رواية على هامش المطرب « اسهما » .

(٣) هذا النص من المطرب ص ١٤ ، وخريدة القصر (١١ : ١٤٩) .

(٤) هذا النص من نفح الطيب (مصر ١ : ١٨٥) وخطيتى الذخيرة أ ٢ : ١٠ ، ب ٢ : ١٣ وخريدة القصر (١١ : ١٥٠) .

(٥) فى نفح الطيب « عقده » .

(٦) فى أصلى الذخيرة « مخبرا » وفى النفح « مودعا » ولعل ما أثبتنا أولى .

(٧) هذا النص من المجموع أ (ص ٢١٥) .

وقال فى غلام اسمه سيف[١] :

سُمِّيتَ سيفاً . وفى عينيك سيفان هـذا لقتلى مسلولٌ وهذانِ
أما كفتْ قتلةٌ بالسّيف واحدةٌ حتّى أُتيح من الأجفان ثِنْتَان
أسَرْتَه ، وثَنانى غُنجُ مُقلتَــه أسيرَه . فكلانا آسرٌ عَانِ[٢]
ياسيفُ أمسِك بمعروفٍ أسيرَ هوًى لا يَبتغى منك تسريحًا بإحسانِ

قافية اليـاء

وقال[٣] :

قــلبى مُــوالٍ لمعـاديه وعاشــقٌ من لا يُباليه
خِلٌّ ظلومٌ كلّمـا زدتُه مــودّةً ، زادَ تجنّيــه
يا غَفَــر الله له ذَنبــه فى ظُلم صبٍّ هائمٍ فيــه
يا حَسَن الوجه،بحقّ الهوى لا تَرض قُبحَ الهَجر والتّيه

وقال[٤] :

فَبكَتْ مقــلتاهُ بالقلب منّى وبكت مُقْلتاى شوقًا إليــه
فحكى لحظُه لنـا سيفَ عبّا دٍ ، ودمعى له سحـابَ يديه

---

(١) هذا النص من خريدة القصر (١١ : ١٤٨) والمعجب ص ٧٣

(٢) العـانى : الأسير

(٣) هذا النص من المجموع أ (ص ١٩٨) .

(٤) هذا النص من المطرب ص ١٤ . وخريدة القصر (١١ : ١٤٦) والمجموع أ (١٩٩) .

(٢)

الوصف

قافية الهمزة

وقال[1] :

ولقـــد شربتُ الرّاحَ يسطعُ نورُها والليلُ قد مـــدّ الظلامَ رِداءَ
حتى تبدّى البدرُ فى جوزائِه[2] مَلِكاً تَنـاهى بهجةً وبهـاءَ
لمّـا أرادَ تـــنزُّهاً فى غربه جعلَ المِظلّةَ فوقه الجوزاءَ
وتناهضت زُهرِ النّجوم يحفُّه لألاؤها ، فاستكمَل الآلاءَ[3]
وترى الكواكبَ كالمواكِب حولَه رُفعت ثُريّاها عليـــه لواءَ
وحكيتُه فى الأرض بين مواكِبٍ وكَواعبٍ ، جمعت سناً[4] وسَناء
إن نَشّرتْ تلكَ[5] الدروعَ حنادساً ملأَت لنا هذى[6] الكئوسَ ضياءَ
وإذا تغنّت هـذه فى مِزهَرٍ[7] لم تألُ تلك على التّرِيكِ[8] غنَـاءَ

---

(١) هذا النص من قلائد العقيان ص ٦ ونفح الطيب (أوروبا ٢ : ٦٢٤ ومصر ١١٣٩) .

(٢) الجوزاء : برج فى السماء ، سميت بذلك لأنها معترضة فى جوز السماء أى وسطها ، والجوزاء أيضا نجم .

(٣) ورد هذا البيت فى نفح الطيب متقدما على سابقه .

(٤) السنا بالقصر : الضوء . وبالمد : المجد والرفعة .

(٥) تلك : فاعل نشرت ، والاشارة إلى المواكب . والدروع مفعول به .

(٦) هذى : إشارة إلى الكواعب وهى فاعل ملأت ، والكئوس مفعول به .

(٧) المزهر : العود الذى يضرب به .

(٨) التريكة كما فى اللسان (ترك) : بيضة الحديد للرأس والجمع ترائك وتريك .

قافية الحاء

وأمره أبوه المعتضد أن يصف مجنًا ، لازوردىَّ اللون ، مطوقا بالذهب ، فى وسطه مسامير مذهبة وفيه كواكب فضّة ، فقال[1] :

مِجَنٌّ حكى صانعُوه السّماء لِتَقْصُرَ عنــه طِوالُ الرماحْ
وقد [2]صوّروا فيه شبه الثّريّا كواكبَ تَقضى له[3] بالنّجاح
وَقَدْ طوّقُوه بذَوْبِ النُّضـارِ كما جَلّلَ الأُفُقَ ضَوءُ الصَّباح[4]

قافية الدال

وقال يصف فوّارة[5] :

ولربّمـا سلَّت لنـا من مائِها سيفًا ، وكان عن النّواظر مُغْمَدَا
طبعتْه لُجيًّا ، فذابت[6] صفحةً منه ، ولو جَمُدت لكان مهنّدَا

(١) النص من خريدة القصر (١١ : ١٥٠) ونفح الطيب (أوروبا ٢ : ٤٨٦) والمجموع أ (ص ٢٠٩) والحلة السيراء نقلا عن دوزى ص ٦٣

(٢) فى المجموع أ والحلة السيراء « وصاغوا مثال الثريا عليه » .

(٣) فى المجموع أ والحلة السيراء « لنا » .

(٤) هــذا البيت ساقط من الخريدة ونفح الطيب وما أثبتنا عن الحلة السيراء ، وفى المجموع أ
« وتزدان أطواقه بالنجوم كما لبس الأفق ثوب الصباح » .

(٥) هذا النص من نفح الطيب (أوروبا ٢ : ٤١١) ومصر (٩٨٨) وديوان ابن حمديس (١٤٢) .

(٦) رواية نفح الطيب « فزانت » .

قافية السّين

وقال فى شمعة[١] :

وشمعــةٍ تنفى ظلامَ الدُّجى ... نَفْىَ[٢] يَدى العُدمَ عن النّاسِ[٣]

ساهرتُها، والكأسُ يَسقِى[٤] بها ... مَن ريقُه أشهى من الكاسِ

ضياؤُها — لا شكّ — من وجهه ... وحرُّها من حرّ أنفاسى

---

(١) هذا النص من خريدة القصر (١١ : ١٥٠) والمجموع أ (٢٠٨) .

(٢) فى المجموع أ « نفي للعدم » .

(٣) ورد بعد هذا فى المصدر السابق البيت التالى :

قد جعل الرحمن من لطفــه ... حياتها فى القطع للرأس

(٤) فى المجموع « يسعى » .

(٣)

إلى أبيـــــه

قافية البـاء

وله إلى أبيه[1] :

يـأيهـا الملكُ الذى   كفَّاه بخَّلتا[2] السَّحابْ

أنعمت بالبيض الكَعَا   ب ،علىَّ والخيلِ العِرابْ

وغدوتَ تُخشى للعِقَـا   ب ، كما تُرجَّى للثَّوابْ

برضـاك أبـصرُ نائىَ الآمالِ مــنِّى ذا اقْــترابْ

وبطيب أيَّامى لديــك عــرفتُ أيَّـامَ الشبـابْ

فشــكرتُ ماأوليتنيـــه من أياديــك العِــذابْ

بشبَـا سِنانِى فى الطِّعا   نِ وحدِّ سيفى فى الضِّرابْ

وشَبـا لِسانى فى المحـا   فل ، بالتَّعثُّر لا يُشَابْ

لا زلت تنتَعِلُ النجو   مَ ،وخدُّ قِتلِكَ[3] فى التُّرابْ

---

(١) هذا النص من المجموع أ (ص ٢١٨) .

(٢) فى الأصل « بخلت » .

(٣) القتل بالكسر : العدو والمقاتل ج أقتال .

وله إليه أيضا[١] :

أُمْنُنْ على عبدٍ رجاكَ بساعة ... يرتاحُ فيها باصطياد أرانِب

حتى يصيدَ بسعدك الأبطالَ فى ... يوم الوغى، بأسنَّةٍ وقواضِبِ

وله إليه[٢] :

أمُعتضدًا بالله دعوةَ آملٍ ... رجاكَ على بُعدٍ، فأصبح ذا قُرب

فأمَّ مأمولًا، وأمَّ مُيَمَّمًا ... وحامت أمانيه على موردٍ عذبِ

مواردُ ما حلَّأْن[٣] عنهنَّ حائمًا ... ولا غادَرتْه غير مستعذَب الشُّرب

وهأنا ظمآنٌ لمنهل وِردكم ... وحسبى موقوفٌ على وِردكم حَسْبِى

أفز[٤] بالذى أمَّلت مذكنتُ آملا ... وتحتلُّ منْ علياه فى المنزل الرَّحب

لجئتُ أُغذُّ السَّير حتى كأننى ... لإفراط إغْذاذى على أظهر النُّجْب[٥]

فألفيتُ أعلى النَّاس قدرًا، وسُؤْدَدا ... وعدلا، فَدَته النَّفس صدقا بلا كذب

يَهشُّ إلى راجيه، كالوامق الصَّبِّ ... ويهتزُّ للمعروف، كالصَّارم العَضب

وإنّى لما تُولى وأوليتَ شاكرٌ ... فمن شكر النَّعماءَ، نال رضا الرَّبّ

وكتب إليه :

أيا مَلِكًا يَجِلُّ عن الضَّريب ... ومن يلتذُّ غُفران الذُّنوبِ

ومن فى كفِّه بُؤْسَى ونُعمَى ... تَصرَّفُ فى العدوِّ وفى الحبيب

---

(١) هذا النص من المجموع ا (ص ٢١٩) .

(٢) هذا النص من المجموع ا (ص ٢٢٠) .

(٣) يقال « حلأ الأبل والماشية عن الماء تحليئا وتحلئة : طردها أو حبسها عن الورود ومنعها عن أن ترده . وكذلك حلأ القوم عن الماء : منعهم . وانظر اللسان (حلأ) » .

(٤) كذا ورد البيت ولعل قبله سقطا .

(٥) هذا النص من المجموع ا ص (٢١٤) .

تسخُّطك الممضُّ أعلَّ نفسى ومالى غيرَ عفوك من طَبيبِ

ولستُ بمنكر ذنبى ، ولكنّى قد جئتُ فى حال المُريب

فان عاقبتنى بجزاءُ مثلى وإن تَصفح فليسَ من الغَريب

بقيتَ مؤيدًا ، ما لاح برقٌ وما غنَّى الحَمامُ على قَضيب

قافية الحاء

وقال يسترضى أباه[1] :

مولاى أشكو إليك داءً أصبح قلبى به قريحَا

إن لم يُرِحْهُ رضاك عنى فلست أدرى له مُريحَا[2]

سُخطُك قد زادنى سَقامًا فابعث إلىّ الرِّضا مَسيحا[3]

واغفِر[4] ذنوبى ، ولا تُضيِّق عن حَملِها صدركَ[5] الفسيحا

لو صوّرَ اللهُ للمعالى جسمًا لأصبحتَ فيه رُوحا

---

(١) هذا النص من المطرب ص ١٣ ، وقلائد العقيان ١٩ ونفح الطيب (أوروبا ٢ : ٢٨٤) ، وخريدة القصر (١١ : ١٤٥) والمجموع أ ص ٢٠٥ والحلة السيراء نقلا عن دوزى ص ٦٧ .

(٢) هذا البيت وارد فى المجموع والحلة . والرواية فى المجموع « توجه » .

(٣) قال ابن دحية فى المطرب ص ١٣ « قوله مسيحا من القوافى التى يتحدى بها لصعوبتها على من رامها وأدخلها هو فى بابها إذ كان المسيح بن مريم يشفى من العلل وأوصابها » .

(٤) هذا البيت وتاليه من الحلة السيراء . (٥) فى الأصل « صدرى » .

قافية الدال

وكتب إلى أبيه يشكره عن فرس أصدأ بعثه إليه[١] :

نَوالٌ جزيل ، يُنهِرُ الشّكرَ والحمدَا
وصُنعٌ جميلٌ ، يُوجب النّصحَ والوُدّا

لقد جُدتَ بالعلق الذى لو أباعَه
بذلتُ ، ولم أُغبَنْ ، به العيشَة الرَّغدا

جوادٌ أتانى من جوادٍ تطابقا
فيا كَرَمَ المُهدى ، ويا كرمَ المُهْدَى

وكم من يدٍ أوليتَ موقعُها ندٍ
لدىَّ ، ولكن أين موضعُ [ذا][٢] الأصْدَا[٣]

لعلِّىَ يومًا أن أوفِّىَ حقَّه
فأُنعلَه ممن عصى أمرَك الخدَّا

وبعث إلى أبيه يطلب جوادا[٤] :

ألا يا غُرّة السَّعدِ وقُرَّة ناظر المجْد
ومولاى الّذى مازا ل يسحَبُ حلَّة الحمد
لِعبدِكَ همَّةٌ هامت بركض الضُّمَّرِ الجُرد

(١) هذا النص من خريدة القصر (١١ : ١٤٥) .
(٢) تكملة لسقط بالأصل يقتضيها الوزن .
(٣) الصدأة كما فى اللسان (صدأ) : شقرة تضرب إلى السواد الغالب . وفرس أصدأ بين الصدأ إذا كان أسود مشربا بحمرة .
(٤) هذا النص من المجموع أ (ص ٢١٧) .

ويرغَب ضارعاً منهـا إلى عَلياك فى الوَرد[1]

وإن تقبضه من عبدٍ تُمُنَّ به على عَبْد

فبعثه إليه مسرجا ملجما ، فكتب إليه :

خلعتَ ثوب الصّفى[2] . . .

وكتب إلى أبيه[3] :

مولاىَ ياذا الأيادى كواكفاتِ الغوادِى

أنا عُبيـدٌ مُعـدٌّ لحسم داء الأعَادِى

واعتادتِ النّفسُ منّى تصيُّـدَ الآسـادِ

بحـقّ[4] لحمٍ وطىٍّ وِكـندةٍ ومُرادِ

ملكتُ من أرض حمص[5] إلى قـرى سَـندادِ

إنّى عليهـا مقيمٌ لرائحٍ أو لِغَـادِ

أكُرُّ بالضرب فيهـا والطّعن عند الجلادِ

حتّى أبحتُ حِماهـا بمرهَفـاتٍ حِدادِ

إن لم نكُن أُسْدَ غيل نكن جآذرَ وادِ

---

(١) الورد : الفرس الأحمر .

(٢) راجع الأبيات فى قافية اليا، ص ٤٥

(٣) هذا النص من المجموع أ ص ٢٠٠

(٤) هذا البيت والبيت بعده يقعان فى آخر القطعة ولعل ترتيبنا أولى .

(٥) حمص : أشبيلية .

قافية الراء

وقال يستعطف أباه حين خرج من مالقة[١] :

سكّن[٢] فؤادَك ، لا تذهب بكَ[٣] الفِكَرُ
ماذا يُعيد عليك البثُّ[٤] والحَذَرُ

وازجُر جُفُونَك ، لا ترضَ البكاءَ لها
واصبِر ، فقد كنت عند الخَطب تصْطَبِرُ[٥]

وإن يكن قدرٌ قد عاق عن وطَرٍ
فلا مردَّ لما يأتى به القَدَرُ

وإن تكن خَيبةٌ فى الدّهر واحدةٌ
فكم غزوتَ[٦] ومن أشياعِك الظَّفَرُ

---

(١) كان المعتضد بالله قد بعث بابنيه جابر ومحمد الملقب بعد بالمعتمد إلى ما لقه بعد تقاص الظلال الحمودية عنها فاستوليا عليها سنة ٤٥٨ ثم لم يلبث المغاربة بها أن استصرخوا أميرهم باديس فأسرع إلى محاربة ابنى عباد فهزمهما واضطرهما إلى الفرار إلى رندة ... فخاطب المعتمد أباه بهذا الشعر يستعطفه ويسليه عن مصابه فى هزيمته ... »

وانظر البيان المغرب (٢ : ٢٧٣) .

(٢) هذا النص من خريدة القصر (١١ : ١٤٥) والمجموع ا (ص ٢١١) . والمطرب ص ١٣ وقلائد العقيان ص ١٩ ووفيات الأعيان ٢ : ٤١ وأصل الذخيرة (أ ٢ : ١١ ، ب ٢ : ١٤) والمرقصات والمطربات (٦٠) والحلة السيراء نقلا عن دوزى ص ٦٣

(٣) فى قلائد العقيان والمجموع ا «به» .

(٤) فى خريدة القصر « الهم والسهر » .

(٥) فى المجموع (تستتر) .

(٦) فى المجموع « غدوت » .

إن كنتَ فى حيرة من[١] جُرم مُجترِمٍ
فإنَّ عُذرك فى ظلمائها قمَرُ

كم[٢] زفرةٍ فى شَغَافِ[٣] القلبِ صاعدةٍ
وعَبرةٍ من شؤون الدَّهر تنحدرُ

فوِّض إلى الله فيما[٤] أنت خائفُه
وثق بمعتضِدٍ بالله ، يغتفرُ

ولا تَرُعك[٥] خطوبٌ ، إن عدا زمنٌ
فالله يدفع ، والمنصورُ ينتصرُ

واصبر ، فإنك من قوم أُولى جَلَدٍ
إذا أصابتهمُ مكروهةٌ ، صَبَرُوا

مَن مثلُ قومِك ، من مثلُ الهمَامِ أبى[٦]
عمرو أبيكَ ، له مجدٌ ومفتخَرُ

سميذَعٌ[٧] يَهَبُ الآلافَ مبتدِئًا[٨] ويستقِلُّ[٩] عطاياهُ ويعتذرُ[١٠]

---

(١) فى أصلى الذخيرة والحلة « عن جرم » .

(٢) هذا البيت والأبيات الأربعة بعده رواها المجموع والحلة السيراء .

(٣) الشغاف كسحاب : غلاف القلب أو حجابه أو حبته أو سو يداؤه .

(٤) هذه رواية الحلة السيراء وفى المجموع « عما » .

(٥) فى الحلة « ولا يروعنك خطب » .

(٦) هذه رواية الحلة السيراء . وفى بعض النسخ « والملك الهام أبو .·. عمرو أبوك » .

(٧) السميذع : السيد الكريم الشريف السخى الموطأ الأكناف والشجاع .

(٨) فى المجموع أ « مقتدرا » وما أثبتنا من المصادر الأخرى .

(٩) فى المرقصات لابن سعيد « وبعد ذلك يلقى وهو يعتذر » .

(١٠) فى المجموع « ويحتقر » .

لــه يدٌ ، كلُّ جبّار يُقبّلها   لولا نداها [١] لقلنا إنّها الحجَرُ [٢]

يا ضيغماً ، يقتُل الفُرسان [٣] مفترِساً   لا تُوهِنَنّى ، فانّى النّاب والظُّفُرُ

وفارساً ، تحذرُ الأبطالُ صولَته   صُن [٤] عبدَك القِنَّ،فهو الصّارمُ الذّكَرُ

هو الّذى لم تَشِمْ يُمناك صفحتَه   إلّا تأتّى مرادٌ ، وانقضَى وطَرُ [٥]

قد أخْلَقتنى صُروف ، أنت تعلمُها   وغالَ [٦] موردَ آمالى بها كدرٌ

فالنّفسُ جازعةٌ ، والعين دامعةٌ   والصّوتُ منخفضٌ،والطّرف منكسرُ

وحُلتُ [٧] لوناً،وما بالجسم من سَقَم   وشِبت رأساً ، ولم يبلغنِىَ الكِبَرُ

ومُتُّ إلّا ذَماءً فىّ ، يُمسِكه   أنّى عهدتُك تعفو حين تقتدرُ [٨]

لم يأت عبدُك ذنباً يستحقّ به   عتبًا ، وها هو قد نَاداك يعتذرُ

ما الذّنب إلّا على قوم ذوى دغَلٍ   وَفَى لهم عهدُك [٩] المعهودُ إذ غَدروا

قومٌ نصيحتُهم غشٌّ ، وحبُّهم [١٠]   بُغضٌ ، ونفعُهُم ـ إن صَرّفوا ـ ضَرر

يُميّزُ البغض فى الألفاظ،إن نطقوا   ويُعرف الحقدُ فى الألحاظ،إن نَظَروا

---

(١) فى المجموع : « نداه » .

(٢) يريد الحجر الأسود .

(٣) فى المجموع ا : « الأبطال » .

(٤) هذه رواية المجموع وفى بقية المراجع : « صن خد عبدك » .

(٥) ورد البيت فى موضعه هذا فى المجموع .

(٦) فى المجموع « وقال موردها مالى بها صدر » .

(٧) فى المجموع « وزاد همى بما » .

(٨) هذا البيت وارد فى المجموع والحلة . وفى المجموع « وذبت » . والذماء : بقية النفس

(٩) فى قلائد العقيان : « عدلك المألوف » .

(١٠) فى المجموع « وصدقهم ... مين »

إن يحــرق القلبَ نفثٌ من مقالهم ... فإنّمــا ذاك مــن نــار القــلى شَرَرُ

مولاى ، دعوةَ ممــلوكٍ به ظمأٌ ... بَرْحٌ[١] ، وفى راحتيك السَّلْسَلُ الخصر[٢]

أَجب نــداءَ أخى قــلبٍ تملّكه ... أسًى ، وذى مُقلةٍ أودَى بهــا السَّهر

لم أُوتَ من زمــنى شيئًـا ألذُّ به[٣] ... فلستُ أعهــدُ[٤] مـا كأسٌ ولا وَتَرُ

ولا تملّكنى دلٌّ ولا خَفَــرٌ ... ولا سبىَ خَلَدى غُنجٌ ، ولا حَــوَرُ

رضــاك راحةُ نفسى لا فُجعتُ به ... فهو العتَــادُ الّذى للدّهــرِ يُدّخرُ[٥]

هو المُــدَامُ الّتى أَســلُو بهــا فإذا ... عدِمتهــا عَبِثَتْ[٦] فى قلبىَ الفِــكَرُ

أَجَلْ ، ولى راحةٌ أُخرى كَلفتُ[٧] بها ... نَــظْمُ الكُلَى فى القَنــا والهــامُ تنتثرُ

مَا تَرْكِىَ الخمــرَ من زُهــدٍ ولا ورَعٍ ... فلم يُفــارقْ ـــ لعمرى ـــ سنّىَ الصِّغَرُ

وإنّمــا أنا ســاعٍ فى رضــاك ، فان ... أخفقتُ فيه ، فــلا يُفسَحْ لىَ العمُرُ

مــا سرّنى ، وأحاشِى عصر عطفــكم ... يــوم أخل به فى عيــنى القِصَرُ[٨]

---

(١) البرح : الشدة .

(٢) هذا البيت والذى يليه ذكرهما المجموع . والخصر ككتف : البارد .

(٣) فى المجموع ا : « أسربه » .

(٤) فى بقية الأصول « فلست أعرف » وما أثبتنا من المجموع .

(٥) فى رواية المجموع « أدخر » .

(٦) فى الحلة « وقدت » .

(٧) فى المجموع «علقت» .

(٨) كذا ورد هذا البيت فى المجموع .

كم وقعةٍ لىَ فى الأعداء واضحةٍ ... تَفنى الليالى . وما يَفنى لها الخبرُ
سارت بها العيسُ فى الآفاق . فانتشرت ... فليس فى كلّ حىّ غيرَها سَمَرُ
لا زلتَ ذا عزّةٍ قعساءَ شامخةٍ ... لا يبلُغ الوهمُ أدناها ولا البصرُ
ولا يزل وَزَرٌ من حسن رأيك لى ... آوى إليه . فنعم الكهفُ والوزرُ
إليك روضةَ فكر جادَ منبَتَها ... نَدى يمينك . لا طلٌّ . ولا مَطَرُ
جعلتُ ذكرك فى أرجائها زَهَرًا[1] ... وكلُّ أوقاتها للمجتنى ثَمَرُ

وأرسل إليه[2] :

يأيها الملكُ الذى لم يزل ... يسرى إلى غُرَّته السّارى
وجامعًا فى كفّه بالنّدى ... والبأسِ . بين الماءِ والنّارِ
اِهْنأْ ، فقد نلتَ الذى تَشتهى ... نفسُكَ ، واشكرْ نعمةَ البارِى

وأرسل إليه أيضا[3] :

أيا ملكًا ، عمّنى فضلُهُ ... ولم أُلف فى بحر نُعماه زَجْرَا
عَهِدنا البحارَ لجزرٍ ، ومَدٍّ ... وتأبى بحارُ أياديك جَزْرَا
دعونا الأمانىَ لمّا رضيتَ ... لجاءت ، توَالَى علينا ، وتَتْرَى
فلم يبق لى أملٌ أرتجيه ... سوى أن أقومَ بنُعماكَ شُكْرَا
بقيتَ ، ولا مُلْكَ إلّا وقد ... غَدا مِلْكَ كَفِّكَ ، قهرًا وقَسْرَا

(١) فى المجموع « ثمرا » وما أثبتنا من الخريدة .
(٢) هذا النص من المجموع ا (ص ٢١٨) .
(٣) هذا النص من المصدر نفسه (ص ٢١٩) .

قافية العين

وكتب إلى أبيه[١] :

أَلَا يا مليكًا ، ظَلَّ فى الخَطب مَفْزَعًا
ويا واحدًا . قد فاق ذا الخَلقَ أجمَعَا

تَرَفَّق بعبد . وُدُّه لك شيمةٌ
إذا كان وُدٌّ من سواه تصنُّعَا

لئن كنتَ عن جهل . فديتُك . غافرًا
فكم عاثرٍ قالت عُلاكَ له : "لَعَا"[٢]

أقِلْنى ، تجد عبدًا شكورًا ، وصارمًا
يحزُّ من الأعداء لِينًا وأخدَعا

عَلتنى من السُّخط الأليم سحابةٌ
فأغرِ بها ريحَ الرِّضا ، كى تَقَشَّعَا

قافية الكاف

وقال[٣] :

الشَّمسُ تخجلُ من جمالك فتغيبُ مُسرعةً لذلك
والغيث يَخجلُ أن يَصو بَ ، لما يراه من نَوالَك
والبدرُ يطلُع ناقصًا حتّى يُتَمِّمَ من كمالِك

---

(١) هذا النص من المصدر السابق (ص ٢١٤) .

(٢) كلمة دعاء تقال للعاثر .

(٣) النص من المجموع أ (ص ٢١١) ونرجح أنه فى أبيه .

قافية اللام

وكتب إلى أبيه جوابا عن تحفة[1] :

يا مَلِكًا قد أصبحتْ كَفُّه ساحرةً بالعارض الهاطِلِ
قد أفْحَمَتْنِي مِنَّةٌ، مثلُها يُضيِّق القولَ على القائِلِ
و إن أكن قصّرتُ عن وصفِها فحُسنُها عن وصفِها شاغِلى

وقال[2] :

بعثْتُ بالمرسَل انبساطا منّى على خلْقك الجميلِ
نزْرًا حقيرا ، ففيه يأتى فضلُك فى العُذر والقبُول
لو أنّه مهجتى لكانت تَصغُر فى قدرك الجليل

وكتب إلى أبيه[3] :

وساعةٍ للزّمان مُسعفةٍ قنصتُ فيها أرانباً وحَجَل
فلا أرانى الإلٰهُ منك رضًا إن لم أصِد من عِداك كلّ بطَلْ

قافية الميم

وقال فيه[4] :

يا مُتبعَ الإكرام إنعاما ومتبع الإنعام إتمامَا
وعادلًا فى النّاس، لكنّه أصبحَ للأموال ظلّامَا

(١) النص من خريدة القصر (١١ : ١٤٥) .
(٢) هذا النص من المجموع أ (ص ٢١١) ونرجح أنه فى أبيه .
(٣) هذا النص من المجموع أ (ص ٢١٩) .
(٤) هذا النص من المجموع أ (ص ٢١٦) .

قرنتَ فى كفِّك بحرَ النّدى   بصارم أسـكنتَه الهَـامَا

وجُمِّعَتْ فيك خِصالُ الورى   وحُزتَ آراءً وإقـداما

فالموتُ والعيشُ بيمناك، قـد   صرّفتَ أسيافًا وأقـلاما

أثقلتَ بالإنعام ظهرى، فقد   أُفْحِمتُ عن شكرك إفحامًا

فاسلَمْ[1] لإهراقِ دماءِ العِدا   ما طردَ الإصباحُ إظـلاما

وقال فيه حين أصابته الحمى[2] :

ياليتَ حرب سقَى الأعادى   طعْمَين منه[3]، أرياً وسُمَّـا

هــذا إذا ناشبُوه حرباً،   وذا إذا استوهَبوه سَلمَـا

لا غرو أن حُمَّ منك جسمٌ   فعـادةُ الأُسْد أن تُحَمَّـا

وليهنِنِى أن طلعتَ بدراً   لأعـين الخَـلق مُسْتَتِمَّا

لا زلتَ يلقى العداةُ بؤسَى   منك، ويَلْقى الوُلاةُ نُعمَى

ولْيَخزَ من خَال من حسود   أَنَّ بك[4] المحَق قد ألَمّـا

---

(١) ورد قبل هذا البيت البيت الثانى هكذا :

سفكت أقضالا دى كى نرى   تزيد فى عمرك أعواما .

(٢) هذه النص من المجموع ا (ص ٢٠٥) وفيه « يا ليت حربا » تحريف .

(٣) فى الأصل « منها » .

(٤) فى الأصل « أن يكن » تحريف .

وقال فيه أيضا[1] :

أوَجْهَ البدرِ يُشرق فى الظّلام　　وسِترَ الله مُدّ على الأنامِ

وليثَ الغابِ إقداماً وبأساً ،　　وربَّ الفضلِ والنِّعمِ الجسامِ

عُبيْدُك مولعٌ بالصَّيدِ قِدماً　　وحُبُّ الصَّيد من شيمِ الكرامِ

فإذنَكَ فيه ، واسلَمْ للأعادى　　تُديرُ عليهمُ كأسَ الحِمامِ

قافية النُّون

وكتب إلى أبيه يطلب مجنًّا[2] :

أيا ماجدًا لم يَرُمْ شامخًا　　من المجد فاحتلَّ غيرَ القُنَنْ

سألتُك صفراءَ بكرًا ، بجُد　　علىّ بها شافعًا للمنَنْ

تَرُدُّ السِّنانَ إذا أمَّها　　شبَا حدّه عن قويمِ السَّنَنْ

وإن كنتُ من معشرٍ فى الوغى　　أقاموا القُلوبَ مقامَ الجُنَنْ[3]

---

(1) النص من المجموع ا (ص ٢١٩) .

(2) النص من المصدر نفسه (ص ٢١٧) .

(3) جمع جنة وهى ما يتقى به ويستتر فيه .

قافية الياء

وقال ، وقد بعث إليه والده بجواد مُسرج مُلجم ، كان قد طلبه منه[١] :

خَلعتَ ثوب الصَّفِيِّ   على العُبَيْـد الـوَفيِّ
يا مسـترقًّا بنُـعمـا   هُ ، كلَّ حُرٍّ سَـرِيِّ
أتَى على الورد[٢] سرجٌ   كالهَدْي فوق الهَدِيّ[٣]
فسـوف أوردُ رُمحى   عليـه قـلبَ الـكَمِيِّ

---

(١) النص من المجموع ا (ص٢١٧) وراجع الأبيات :
ألا يا غرة السعد   وقرة ناظر المجـد ص ٣٤

(٢) الورد : الفرس الأحمر .

(٣) الهدى بسكون الدال : ما يهدى من مال ومتاع وغيرهما . والهدى بكسر الدال وتشديد الياء : العروس تهدى الى زوجها . والمعنى ان الفرس عليه سرجه ، كالعروس عليها حليها .

(٤)
فى أولاده

قافية الدّال

قال فى ابنه المأمون أبى الفتح[1] :

وردتَ[2] أبا الفَتْح يا سيِّدى ... وُرودَ الكَرى بعد طُول السُّهادِ
ولمّا اختَلَلْتَ بنا لم تَحُلَّ من القلبِ والعينِ غَيرَ السَّواد
ودُونَك منا طيورًا غدت ... تطيرُ إليك بريشِ الوِدَاد

قافية الرّاء

وكان المعتمد حين وصل "أُورقة" اعلم أنّ العدوّ قد بعث إليها جيشا ، فأمر ابنه الرّاضىَ بالخروج إليه فى عسكر جرّده ، فأظهر التَّمارض ، وانصرف إلى المطالعة ، فغضب المعتمد حينا ، ثمّ عطف عليه ، وكتب إليه مازحا[3] :

المُلكُ فى طىِّ الدَّفاترْ ... فتَخَلَّ عن قَوْدِ العساكِرْ
طُفْ بالسَّرير مسلّمًا ... وارجع لتوديع المنابِرْ
وازحف إلى جيش المعا ... رف تَقهرِ الحبرَ المُغَامِر
واطعن بأطرافِ اليرا ... ع — نُصِرتَ — فى ثغر المحابرْ

(١) انظر ترجمته ص ٦٨

(٢) هذا النص من المجموع ا (ص ٢١٦).

(٣) هذا النص من قلائد العقيان ص ٣٤ ونفح الطيب (مصر ١١٢٤).

واضرِب بسكِّين الدّوا ة ، مكان ماضِى الحدِّ باتِرْ

أَوَ لستَ رَسطَالِيس[١] إنْ ذُكِرَ الفَـلاسفةُ الأكابِرْ

وكذاك إن ذُكِر الخَليـل[٢] . فأنت نحوىٌّ وشاعِر

وأبو حنيفـةَ[٣] ساقِطٌ فى الرّأى حين تكون حاضِرْ

من هرمسٌ[٤] ، من سيبويـه ، من ابن فُورَك[٥] إن تُنَاظِرْ

هـذى المكارمُ قـد حَوِيـ تَ ، فكُن لمن حاباك شاكِرْ

واقعـد فإنّك طـاعِمٌ كاسٍ[٦] ، وقل : هل من مُفاخِر

فَجَبَتْ[٧] وجهَ رضاى عنـك ، وكنتَ قد تلقاهُ سافِر

أوَ لست تذكُر وقت[٨] لو رقـة ، وقابُك ثَمّ طائِرْ

---

(١) فى نفح الطيب « أسطاليس » .

(٢) الخليل بن أحمد .

(٣) الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان .

(٤) قالوا الهرامسة ثلاثة : هرمس الأول وكان قبل الطوفان . وهرمس : لقب ، كما يقال قيصر وكسرى وتسميه الفرس فى سيرها « اللهجد » وتفسيره ذو عدل . وهرمس الثانى من أهل بابل وكان بارعا فى الطب والفلسفة عارفا بطبائع الأعداد وكان تلميذه فيثاغورس . وهرمس الثالث وقد سكن مصر وهو صاحب كتاب الحيوان ذوات السموم وكان طبيبا فيلسوفا وله كلام حسن فى صناعة الكيمياء (انظر عيون الأنباء فى طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعه ص ١٧) .

(٥) هو محمد بن الحسن بن فورك واعظ عالم بالأصول والكلام من فقهاء الشافعية ، حدث بنيسابور و بنى فيها مدرسة وله تآليف كثيرة (انظر الأعلام للزركلى ووفيات الأعيان لابن خلكان) .

(٦) أى مكسو .

(٧) رواية القلائد « فجبت » .

لا يستقر مكانه وأبوك كالضرغام خادرْ
هلّا اقتديتَ بفعله وأطعتَه، إذ ذاك آمرْ
قد كان أبصرَ بالعوا قب، والموارد، والمصادرْ [1]

وقال وقد ذكر ابنه أبا هاشم [2] فى أثناء احتدام القتال يوم العروبة [3]:

أبا هاشم [4] هشمتنى الشفارْ [5] فلله صبرى لذاك الأوارْ
ذكرت شُخيصك ما بينها فلم يَدْعُنى حبُّه للفرار

---

(١) فأجابه الراضى بقوله :

مولاى قد أصبحت كافر بجميع ما تحوى الدفاتر
وفللت سكين الدوا ة ، وظلت للأقلام كاسر
وعلمت أن الملك ما بين الأسنة والبواتر
والمجد والعلياء فى ضرب العساكر بالعساكر

وانظر تمام الأبيات فى قلائد العقيان (ص ٣٥ و ٣٦) .

(٢) أبو هاشم كنية أصغر أولاد المعتمد وكان أحبهم إلى أبيه وأحظاهم عنده لصغره لديه ، كان تركه عليلا بأشبيلية حينما ذهب إلى القتال فى يوم الجمعة المشهور بيوم العروبة الذى حدثت فيه معركة الزلاقة . فتذكره حين جدت الحرب وجرح فى جبينه ويمينه . وهذا الابن هو الذى دخل على أبيه فى أغمات فارتاع حين رآه يرسف فى قيوده فخنقته العبرة ، فأهاج كامن حزن المعتمد فقال :

قيدى أما تعلمنى مسلما أبيت أن تشفق أو ترحما
دمى شراب لك ، واللحم قد أكلته ، لا تهشم الأعظما
يبصرنى فيك أبو هاشم فينثنى القلب وقد هشما

وانظر تمام الأبيات فى قافية الميم فى شعره فى الأسر .

(٣) انظر ما سبق عن وصف يوم العروبة ص ١٧

(٤) النص من خطيتى الذخيرة أ ٢ : ٢٠ ، ب ٢ : ٢٤ والحلل الموشية ص ٤٢ ونفح الطيب (بولاق ١١٨٢) ، وروض القرطاس ص ٩٨ وديوان ابن حمديس ص ٢٧٦

(٥) فى روض القرطاس « هشمتنى أشفار » . وقد ذكر النفح وصفا مفصلا لما لاقاه المعتمد فى هذه المعركة فقال " وأثخن ابن عباد جراحات وضرب على رأسه ضربة فلقت هامته حتى وصلت إلى صدغه وجرحت يمنى يديه وطعن فى أحد جانبيه وعقرت تحته ثلاثة أفراس كلما هلك واحد قدم له آخر ... " .

(٥)

رسائل

قافية الهمزة

وكتب إلى أصحاب له بِالزَّهراء ، يدعوهم إلى قصر البستان بقرطبة[١] :

حسدَ القَصْرُ فيكمُ الزَّهراءَ ولعَمرى وعمــركُمُ ما أساءَ

قد طلَعتُم بهـا شُموسًا صَباحًا فاطلُعوا عنـدنا ، بُدورًا ، مساءَ

وكتب إلى أبى الطّيّب أبى محمّدٍ المصرىّ ، يستدعيه إلى الشّراب[٢] :

أيُّهـا الصّاحبُ الّذى فارقَت عَيـ ـنِى ، ونَفْسِى منه ، السَّنَا والسَّنَاءَ

نحن فى المجلس الّذى يَهَبُ الرَّا[٣] حَةَ والمِسمعَ ، الغِنَى والغنــاءَ

نَتعاطى الّتى تُنَسِّى مِن[٤] اللَّذَّ ةِ والرِّقَّــةِ ، الهَوى والهَواءَ

فأته تُلـفِ راحةً ومحيًّـا قد أعدَّا لك[٥] الحيَا والحياءَ

(١) النص من خريدة القصر (١١ : ١٤٦) وقلائد العقيان ص ١٠ ، ووفيات الأعيان لابن خلكان (٢ : ٤٢) .

(٢) النص من خريدة القصر (١١ : ١٤٦) وقلائد العقيان ص ٧ ، ونفح الطيب (مصر ١١٣٩) ، والمجموع ا (١٩٩) .

(٣) الراحة : راحة اليد . والمسمع : الأذن .

(٤) فى القلائد « تسمى من » . وفى المجموع « تنسيك فى اللذة » .

(٥) الحيا مقصور : المطر والخصب . وبالمد : الحشمة .

قافية الباء

وكتب إلى أبي عامر بن غند شلب[1] :

يا مجابًا دعَا إلى مُستجيب فسمعنا دُعاءَهُ منْ قَرِيب
إن فعلتُ الّذى دعوتَ إليه كنتُ فيما رغبت عين رغيبِ

(١) حكى المقرى عن ابن غالب فى فرحة الأنفس أن الوزير أبا عثمان بن شستفير وأبا عامر بن غند شلب وفدا رسولين على المعتمد بن عباد عن إقبال الدولة بن مجاهد والمعتصم بن صمادح والمقتدر بن هود لإصلاح ما كان بين المعتمد وبين ابن ذى النون . فسر المعتمد بهم وأكرمهم ودعاهم إلى طعام صنعه لهم ، وكان لا يظهر شرب الراح منذ ولى الملك . فلما رأوا انقباضه عن ذلك تحاموا الشراب فلما أمر بكتب أجوبتهم كتب إليه أبو عامر :

بقيت حاجة لعبد رغيب لم يدع غيرها له من نصيب

وفيها :

وإذا الليل جن حدثت جلا سى بما كان من حديث عجيب
قيل إن الدجى لديك نهار وكذاك الدجى نهار الأريب
فتمنيت ليلة ليس فيها لذكا ذلك السنا من مغيب
حيث أعطيك فى الخلاء وتعطيـ ـنى مداما كمثل ريق الحبيب
ثم أغدو كأنني كنت فى النو م وأخفى المدام خوف هزيب

والهزيب : الرقيب العتيد فى كلام الأندلس . فسر المعتمد وانبسط بانبساطه وضحك من مجونه وكتب إليه :

يا مجابا .... البيتين

واستحضره فنادمه خاليا وكساه ووصله وانقلب مسرورا ، وظن المعتمد أن ذلك يخفى من فعله عن ابن شستفير ، فأعلمه بالأمر القائد ابن مرتين ، فكاد يتفطر حسدا وكتب إلى المعتمد :

أنا عبد وليته كل بر لم يدع من فنون برك فنا
غير رفع الحجاب فى شربك الرا ح فماذا جناه أن يجنى
وتمنى شراب سؤرك فى الكأ س ، فبالله أعطه ما تمنى

فسرته أبياته وأجابه :

يا كريم المحل فى كل معنى ....

وانظر تمام الأبيات فى قافية النون ص ٦٣

وكان ابن عمّـار قد كتب إلى المعتمد يستعطفه ، بعد أن حاول الوثوبَ على مرسية[1] ، بقصيدة مطلعها[2] :

أُصـدِّقُ ظنّى أم أُصيخُ إلى صحبى فأَمضىَ عزمى أم أعوجَ إلى الرّكبِ

ومنهـا :

حنانَيك فيمن أنت شاهــدُ نُصحِه وليسَ له غيرَ انتصاحِكَ من حَسْبِ

وما جئتُ شيئـاً فيــه بغىٌ لطالبٍ يضاف به رأىٌّ إلى العجز والعُجب

وما أغــربَ الأيّامَ فيما قضتْ بِهِ تُرِينى بُعْـدِى عَنك آنسَ من قُرْبِى!

سأستمنحُ الرُّحمـىٰ لديــك ضَرَاعةً وأسأل سُقْيَا من تجاوُزِك العــذبِ

فان نفـحتنى من سمـائك حَرجفٌ ســأهتفُ يا بردَ النســيم على قــلبى

ومنهـا :

أخافُك للحق الذى لك فى دمى وأرجوكَ للحُبِّ الذى لك فى قلبِى

---

(١) كان المعتمد قـد جهز جيشا للتغلب على أمر مرسية وإخراج ابن طاهر ، وجعل قيادته لابن عمار، فلمـا تغلب عليها ابن عمار سول له رأيه أن يستبد بالأمر وأن يضبطها لنفسه . فاعمل الحيلة حتى بلغ ما أراد وطمع فى بلنسية . ثم حدث أن قام ابن رشيق أحد رجالات مرسية — وكان ابن عمـار خارج المدينة — فدعا لنفسه فيها ، فلمـا جاء ابن عمار حاصرها ولكنها امتنعت عليه فهرب حتى لحق ببنى هود ، ولكنهم مالبثوا أن خافوه فأخرجوه ، فأخذ يجوب البلاد إلى أن دفع إلى حصن شقورة وكان عليها ابن المبارك فقبض عليه وسجنه ، فلمـا رأى ابن عمـار ذلك طلب منه أن يكتب إلى ملوك الأندلس بشأنه فيمن يرغب فيه ، وكان فى جملة من كتب إليهم ابن عباد المعتمد ، فبعث إليه بجمـاعة من رجاله عليهم ابنه الراضى ، فاقتادوه أسيرا سنة ٤٧٧ هـ (الذخيرة أ ٢ : ١١٤ والمعجب ٨٥) .

(٢) النص من الذخيرة (أ ٢ : ١١٠) .

فأجابه المعتمد بقوله[1] :

تَقدَّم إلى ما اعتَدت عندى من الرّحْبِ ورِدْ تلقَكَ العُتْبى[2] حجاباً من العتْبِ
متى تَلْقَني تلق الّذى قد بَلَوْتَه صَفُوحاً عن الجانى.رءوفاً على الصَّحبِ
سأوليك منّى ما عهدتَ من الرّضا وأعرِضُ[3] عمّا كان-إن كان-من ذنب
فما أشعرَ الرّحمنُ قلبىَ قسوةً ولا صار نِسيانُ الأذمّة من شَعْبى
تكلّفتُه . أبغى به لك سَلوةً فليس يجيد الشّعر مُشْتَرَكُ اللُّبّ

وذكر الفتحُ فى قلائد العقيان[4] أن المعتمد أجاب ابن عمار على القصيدة المتقدمة[5] بهذه الأبيات :

لدىَّ لك العُتبى تُزاح عن العتب وسعيُك عندى لا يضافُ إلى ذنبِ
وأعززْ علينا أن تُصيبك وحشةٌ وأُنسُك ما تدريه فيك من الحبّ
فدَع عنك سوء الظّنّ بى . وتَعَدّه إلى غيره ، فهو المُمَكَّنُ فى القلب

---

(١) هذا النص من الذخيرة (أ ٢ : ١١١) والمجموع أ (ص ١٩٤) . والحلة السيراء نقلا عن دوزى ٩٢

(٢) العتبى : الرضا .

(٣) فى الحلة : « وأصفح » .

(٤) انظر قلائد العقيان ص ٩٧

(٥) وفى رواية عن أبى طاهر التميمى السرقسطى — أن هذه الأبيات التالية إنما هى جواب عن قصيدة أخرى بعث بها ابن عمار ومطلعها (أأركب قصدى أم أعوج مع الركب) وذلك حين ارتهن زعيم برشونة الرشيد بن المعتمد سنة ٤٧١ هـ وظن ابن عمار فى ذلك مديا . (الحلة السيراء ٢ : ٩٢) .

قريضُك قـد أبدى توحُّشَ جانبٍ　　فراجعتُ[1] تأنيسًا، وعلمُك بى حسبى

تكلفتُـه أبـغى بـه لك سـلوةً　　وكيف يعانى الشعرَ مشـترَك اللبِ

وحينما كانت جيوش المسلمين بالأندلس، مع حليفهم يوسفَ بنِ تاشفين تستعدُّ لخوض معركة الزلاقة، أمر المعتمدُ منجّمَه أبا بكرِ بنِ يحيى الخَولانى بأخذ طالع الوقت والنظر فيه، فوجده أوفق طالع. فكتب المعتمد إلى يوسفَ بهذه الأبيات[2]:

غزوٌ عليـك مبـاركٌ　　فى طيِّه الفتحُ القريب

لله سـيفُـك إنّـه　　يَحُطُّ على دين الصَّليب

لا بدّ من يـوم يكو　　ن له أخٌ يوم القَليب[3]

قافية الدال

وكتب إلى الوزير أبى عُمر[4]:

فُديتَ أبا عُمرٍ، من فتًى　　متى يُختبَر غيبُه يُحمـد

ودادٌ صحيحٌ، وخُلقٌ مليحٌ　　ونطقٌ فصيحٌ لدى المَشْهَد

---

(١) فى الحلة السيراء «بخوبت».

(٢) هذا النص من كتاب الحلل الموشية ص ٥٠.

(٣) يوم القليب: يوم بدر.

(٤) هذا النص من المجموع أ (٢١٦).

أتتنى البديهةُ تَنـدَى بديعاً ... وأبدعُ ما فى الرّياض النَّدِى

أزاهرُ لم تُنتَشَق بالأنو ... ف لُطفاً . ولا جُنيَتْ باليدِ

خَجِلتُ لشكواك فى طيّها ... فما كدت أسمعُ للمُنشِدِ

وقد عُبِّرت لك تلك الرُّؤَى ... لِيَشبَع طاوٍ ، ويروَى صدِ

فهوِّن عليك من النائبا ... ت ، إذا كان نَصْرِىَ بالمرصدِ

وكن مُخْبرى ، إنّنى سائلٌ ... سؤال مُدِلٍّ ، على مُسعِدِ

لجَاءتك صفراءَ عندَ المنا ... م ، تَسرى من الأُفق الأَبعدِ

فلاقتك بالنَّفَس النَّرجسىّ ... وراقَتْكَ[1] بالملبس العسجدِى

وعَلَّتك بالرِّيق ، لو أنه ... أُتيحَ لذى الزّهد ، لم يزهدِ

وكتب إلى ابن زيدونَ معاتبا[2] :

وعدتَ وأخلفتَنى الموعدا ... وخالفتَ بالمنتَهى المبتَدا

وأطمَعْتَنى ، ثم أيأَستَنى ... ويمنعُنى الودُّ أن أحقدا

وأضعفتَ بالمطل حبلَ الرَّجا ... ءِ ، فرثَّ ، وأَعْهَدُه مُحْصَدا

وعاد ضياءُ ارتقابى ظلامًا ... وأصبح مصباحه أرمدا

---

(1) فى الأصل " ولاقتك " ولعل ما أثبتنا أولى .

(2) هذا النص من ديوان ابن زيدون المخطوط ص ١١٣

وكان فِعَالُك قبل المقـ ـل ، فماذا عدا الآنَ فيمابدَا !!

وقد كان ظنّىَ فيما رأيتُ به أنّه الشُّحّ[1] غَلّ اليـدا

وكم قد توكّفتهـ روضةً تقرّب لى الأملَ الأبعدا

ينـوّرُ علمك أرجاءهـ ويقطُر طبعُك فيهـ ندى

توكّفَها زمنـ ناظرى إذا مر يومٌ ، تمـادى غدا

على ذاك أفديك من ماجدٍ تشبّثَ بالظَّرف فيه الهدى

فحينـا أزورُ به روضةً وحينا أُحيِّ به مسجدا

لك العلمُ مهما أَرِدْ بحرَه لأَرْوَى به ، أحمـَدُ الموردا

وفيـك تجمّعت المأثرا تُ ، طرّا ، فصرتَ بها مفردا

شمائلُ تَنثُر شملَ الهمو م ، تَتركَك بالرّأى شملَ العدا

فمتّعنى الله باللحظِ منـــك ، لا زلتَ لى مؤنسا سرمدا

ودمتَ ودمنا على حالِنا كما يصحبُ الفرقدُ الفرقدا

فلولاك كانت ربوعُ السّرورِ زمنًى ، تجاوَبَ فيها الصدى

فأجابه ابن زيدون بقصيدة مطلعها[2] :

أفاض سماحُك بحر النّدى وأقبس هديُك نورَ الهدى

---

(١) فى الأصل " الشى ، بل " تحريف .

(٢) تمام القصيدة بديوان ابن زيدون المخطوط ص ١١٤

قافية الراء

وحكى الدانى أن المعتصم بن صمادح كتب إلى المعتمد[1] :

شكرى لبرك شكر الروض للمطر ونفح بشرى به أذكى من الزهر
وجاءنى مخبر عنه فقلت له بالله ، قل ، وأعد ، ياطيب الخبر
ياواحداً ، علمت ، فى كل منقبة جلت ، ويا ثالثا للشمس والقمر
لئن حرمت لقاءً منك أشكره لقد حللت سواد القلب والبصر

فراجعه المعتمد بقوله :

أنفحة الروض رقت فى صبا السحر من بعد ما بات والأنداء فى سمر
لا ، بل تحية محض الود بلغها بر شريف المعالى ماجد النفر
أما لعمر أبى يحيى ، لقد وصلت من بره صلة أحلى من الظفر
يامن وردت الوفاء الغمر مرتوياً من عهده، إذ يساقى الناس بالغمر[2]
أحرزت سرو السجايا ، ثم قارنه ظرف اللسان اقتران الكأس بالوتر
إذا اعتبرت من الأخلاق أنفسها كنت المنافس فيه السامى القدر
عليك منى سلام لا يزال له فرض تؤديه آصال إلى بكر

(١) النص من الحلة السيراء (نقلا عن دوزى فى تاريخ بنى عباد ٢ : ٨٥) .

(٢) الغمر : القدح الصغير .

وقال[1] :

تَرَفَّقْ يا أبا يحيى ومن ظَفِرتْ كَفِّي به ، فدعاني فضلُه الظّافِرْ

إن حالَ ما بيننا رَيحانُنا النّاضِر فناظرُ القلب حقًّا نحوكم ناظِرْ

أحمِي مكانَك من قلبي ، وأمنَعُه كما حَمَى الحاجبُ الإسلامَ بالباترِ

قافية السّين

وكتب بهذين البيتين إلى ذى الوزارتين أبي الوليد بنِ زيدون ، وكان مجلسه منحطًّا عن مجلسه فى القعود إنفاذا لأوامر أبيه المعتضد[2] :

أيُّها المنحطُّ عنّي مجلسًا وله فى النّفسِ أعلى مجلِسِ

بفُؤادى لك حبٌّ ، يقتضي أن تُرى تُحمَلُ فَوقَ الأرؤُسِ

فكتب إليه ابنُ زيدون :

أسقيطُ الطّلِّ فوق النّرجِسِ أم نسيمُ الرّوضِ تحتَ الحِندِسِ

أم نظامُ للآلٍ نَسَقٌ جامعٌ كلَّ خطيرٍ منفِسِ

أم قريضٌ جاءَني عن مَلِكٍ مالكٍ بالبِرّ رِقّ الأنفُسِ[3]

(١) هذا النص من المجموع أ (ص ٢١٨) .

(٢) النص من رواية القلائد ص ٧ والمجموع أ ص ١٠٤

(٣) انظر تمام الأبيات فى ديوان ابن زيدون .

وكتب إلى بعض ندمائه[1] :

لولا عيونٌ من الواشين ترمُقُني ۝ وما أُحاذِرُه من قولِ حُرَّاسِ

لزرتكُم . لا أُكافيكُم بجفوتكم ۝ مشيًا على الوجه . أو حَبوًا على الرَّاس

قافية الضاد

وقال[2] :

أبا الوليد[3] تجاوزْ ۝ وهَبْ لنا التَّغميضَا

واقبَلْ جوابًا على نظـ ۝ ـمكَ الصَّحيحِ مريضَا

زَفَفتَ نحوى عروسًا ۝ تجتابُ روضًا أريضَا

جلوتَها فى سوادٍ ۝ تجلُو المعانِىَ بيضَا

وقد منَحتُك نزرًا ۝ لا حقَّك المفروضَا

وسوفَ أرفعُ جَهدِى ۝ من قَدرِكَ المخفوضَا

قافية الكاف

وقال[4] :

ياقمرًا أُفْقُه فؤادى ۝ مقالةٌ لم تُشَب بإفكِ

ومن غدا مسترِقّ حُرٍّ الـ ۝ ـكلام قد حازَهُ بملكَ

(١) النص من خطيتى الذخيرة أ ٢ : ١١ و ب ٢ : ١٤ وابن خلكان ٢ : ١١٢ وقلادة النحر ٢ : ٦٣٣

(٢) النص من المجموع أ (٢١٦) .

(٣) أبو الوليد كنية لثلاثة من الشعراء هم : ابن زيدون والنحلى وابن المعلم .

(٤) هذا النص من المجموع أ (٢١٠) ونرجح أنه فى ابن زيدون .

نثرتَ دُرَّ القريض نثرًا يقومُ ذهني له بسلكِ

فقلت لله درُّ ذهنٍ يُخرجُ درًّا، من بحر فكّ

وجاءَت الطيرُ مُودَعات سرَّك؛ ياسرَّ كلِّ مَلكِ

بيتانِ دلّا على وِدادٍ محضتَه لى، بغير شكّ

وقال[1] :

أَمَطالعَ زُهرِ نُجومِ الكلام ومَشْرِقَه من خلال الحَلَكْ

أتانا قريضُك والهمُّ حيٌّ لدينا، فأمسى به قد هلَكْ

فهاك مَوارِدَ وِدٍّ صفَتْ يَعُلُّك فيها الّذى أنهَلَكْ

قافية الميم

وكان الوزير ابنُ الإصبغ بن أرقم، رسول المعتصم بنِ صُمادحَ إلى المعتمد، قد بات على قرب من إشبيلية، وأعلمه أنه وافد عليه صبيحة غدٍ، وكتب له فى ذلك شعرا منه :

يامالكا، عظّمته العُرْبُ والعَجمُ وواحدا وهو فى أثوابه أُمَمُ

إنّا وَرَدْناك والأقطارُ مظلمةٌ والبدرُ يرجى إذا ما التَخَّتِ الظُّلَمُ

---

(1) هذا النص من المصدر نفسه (٢٠١) .

فكتب إليه المعتمد[١] :

أهلاً بكُمْ . صحبتكُم نحوىَ الدِّيَمُ ... إن كان لم يَتَبَجَّح[٢] لى بكُم حُلُمُ[٣]

حُثّوا المطىّ ولو ليلاً بمَجْهَلَةٍ[٤] ... فلَن تَضِلّوا . ومن بِشْرى لكم عَلَمُ

لأنتمُ[٥] القومُ . إن خَطّوا . يُجِدْ قَلَمٌ ... وإن يَقُولُوا يُصِب فَصلَ الخطابِ فمُ

لا عىَّ[٦] إن رقَمُوا كُتْباً . ولا حَصَرٌ ... إذ يَنْتَدُون ، ولا جورٌ إذا حكَمُوا

أقدِمْ أبا الإصبغ المودودَ[٧] تلقَ فَتًى ... هشَّ المودَّة ، لا يُزرى[٨] به سأَم

هذا فؤادىَ . قد طار السّرورُ به ... أن كنتَ تنقُلك الوخّادةُ[٩] الرُّسُمُ[١٠]

سأكتمُ اللّيلَ ما ألقــاه من بعُدٍ ... وأسألُ الصُّبحَ عنكم حين يبتسِمُ

(١) هذا النص من قلائد العقيان ص ٨ والذخيرة ٢ : ١١ ب ٢ : ١٤ والمجموع أ (٢٠٦) ونفح الطيب (مصر ١١٢٣) .

(٢) قال ابن زاكور فى تزيين قلائد العقيان (ص ٣١) "يوجد فى النسخ بحاءين مهملتين وهو حينئذ مضارع تبجح إذا تمكن فى المقام والحلول . والمعنى على أن حلمه أو نومه الذى يتبعه الحلم و يترتب عليه لم يتمكن ولم يستقر سرورا بمقدمهم . ويصح بجيم لخاء مضارع تبجح مطاوع بجحه أى فرحه و إسناده إلى الحلم مجاز ..." وانظر اللسان والقاموس (بجح و بجج) .

(٣) فى المجموع أ « وحان أن يتسنى لى بكم حلم » . ويتسنى يتحقق . والمعنى حينئذ : وحان أن تتحقق أحلامى بقربكم .

(٤) المجهلة كمرحلة : أرض لا أعلام فيها .

(٥) هذا البيت والأبيات الثلاثة بعده من القلائد والمجموع .

(٦) فى المجموع « لا خرق » . والعى : الحصر إلا أن هذا يزيد عليه باستعماله فى ضيق الصدر . وانظر ابن زاكور فى تزيين القلائد .

(٧) فى المجموع « المحبوب » .

(٨) يزرى : مضارع أزرى أى أدخل عليه عيبا .

(٩) الوخادة : مبالغة من الوخد وهو السير السريع .

(١٠) رسمت الناقة ترسم رسيما : أثرت فى الأرض لشدة وطئها . والرسيم ضرب من السير السريع .

وكتب إلى ابن صمادح حين سعى به إلى أمير المسلمين يوسفَ بنِ تاشفين[١]

يا من تَمَرَّس[٢] بي يريد مَسَاءَتى ... لاتَعرِضَنَّ[٣] . فقد نصحتُ لِمَنْدَمِ[٤]
من غرَّه منّى خلائقُ سهلةٌ ... فالسُّم[٥] تحت لَيَانِ مَسِّ الأرقَمِ

وكتب الوزيرُ الكاتب أبو الوليد[٦] بن المعلّم إلى المعتمد[٧] :

أيَدكَ الله إنَّه يَوْمٌ ... تُحجَبُ فيه الصّلاةُ والصَّوْمُ
وتُعقَرُ الرّاحُ غيرَ وانيةٍ ... لا عارَ فى عَقْـرِها ولا لَوْمُ
فانشَط إليه فإنّه أملٌ ... يَبلُغه فى نَديِّكَ القومُ
لازلتَ مُستيقِظ السّعودِ لنا ... وعنْك ، فى أعين الرَّدى ، نَوْمُ

---

(١) هذا النص من القلائد (١٤) وخريدة القصر (١١ : ١٥٠) .

قال المراكشى فى المعجب " كان المعتصم قديم الحسد للمعتمد كثير النفاسة عليه لم يكن فى ملوك الجزيرة من يناونه غيره وربما كانت بينهما فى بعض الأوقات مراسلات قبيحة . وكان المعتصم يعيبه فى مجالسه وينال منه ... ولما اشتد تمكن المعتصم من يوسف بدا له أن يسعى فى تغيير قلبه على المعتمد وإفساد ما بينهما " وانظر المعجب (٩٥ ، ٩٦) .

(٢) تمرس بالشىء ، وامترس : احتك به . وفى قلائد العقيان « تعرض لى » .

(٣) نرى أنه من (عرض) وابن زاكور يجعله من « أعرض » فيقول :

" الأليق بضبطه وتفسيره أن يكون مضموم التاء مكسور الراء مؤكدا بنون مشددة مضارع أعرض : ذهب عرضا وطولا والمراد الذهاب فى التخريب والإفساد بينه وبين يوسف كل مذهب . فنهاه عن ذلك إنذارا وتحذيرا من وبال عاقبة ذلك ... " .

(٤) مصدر ميمى بمعنى الندم ويصح أن يكون بمعنى اسم الفاعل .

(٥) " فالسم ... إلى آخره " أقيم مقام محذوف . والمعنى من غره منى خلائق سهلة ، فهو مغرور مخدوع .

(٦) أحد وزراء المعتضد بن عباد والد المعتمد وممن شهر بالاحسان فى صناعة النظم والنثر وترسيله يشهد بغزارة حفظه وتمكنه من الرواية . وانظر الذخيرة (٢أ : ١٤) .

(٧) النص من المجموع أ (١٩٥) .

فأجابه المعتمد :

حُمّتَ بخفّاقةِ الجناحِ ، وقدْ أمكنَ وردٌ ، فلا يَطُلْ حَوْمُ
وسُمتَ في الطّيبِ والسّرور فتًى لم يُزرِ يومًا بطيبه سَوْمُ
وها هو المجلسُ المعَدُّ لكُمْ فادخُل إليه ، وليدخلِ القَومُ
إلى كئوسٍ لو شاء شاربُها يعومُ فيها لأمكنَ العومُ

قافية النون

وقال[1] :

دُرًّا بعثتَ مُفَصّلاً بجُمَانِ أو روضةً مِسكيّةَ الرّيحانِ
لا بل عروسًا قد زَفَفتَ ، تولّدت ما بين فكرٍ ناقدٍ وبَنانِ
سمعًا لأمرِك ، إذ دعوتَ إلى التي تدعُ القلوبَ قليلةَ الأحزانِ
أمّا الكئوسُ فقد جرَتْ ما بيننا بيدَيْ غزالٍ ساحرِ الأجفانِ
خَنِثٍ يُسقّيني المُدامَ بطرفه وبكفّه ، ومتى أشا غنّاني
فعلاً ، لعمرك ، لم أكن لأضيعه لا تحسبَنّا من بني سهوانِ

وقال[2] :

للّه درُّ أبي السّنانْ من فارسٍ شهمِ الجنانْ
تخشاهُ آسادُ الرّجا لِ ، كما تهيمُ به القيانْ
فببأسه يُشقي العِدا وبحسنِه يُصبي الحسانْ

(١) النص من المصدر السابق ص (٢٠١) .
(٢) النص من المصدر السابق ص (٢٠٨) .

وكتب إلى ابن شنتفير[١] :

يا كريمَ المحلّ فى كلّ معنَى　　　والكريمُ المحلِّ ليس يُعَنَّى

هذه الخمرُ تبتغيك ، فخُذها　　　أو فدَعها ، أو كيفما شئتَ كُنَّا

قافية الهاء

كتب المعتمدُ إلى ابن زيدون ، بعد أن فكّ معمّى كتب به ابن زيدون إليه[٢] :

العين بعدك تقْذَى　　　بكلِّ شيءٍ تَرَاهُ

فَلْيَجْلُ شخصُك عنها　　　ما بالمغيب جَنَاهُ

قافية الياء

وكتب إلى ابن عمّار[٣] :

لمّا نأيتَ ، نأى الكرى عن ناظرى　　　ورَدَدْتَهُ[٤] ، لمّا انصرَفْتَ عليه

طلبَ البشيرُ بشارةً يُجزَى بها　　　فوهبتُ قلبى ، واعتذرتُ إليه

---

(١) النص من نفح الطيب وانظر ما سبق فى ص (٥٠) .

(٢) النص من المصدر نفسه (أوروبا ٢ : ٦١٧) ومصر (١١٣٣) .
وانظر المعميات بين ابن زيدون والمعتمد .

(٣) النص من المطرب ص ١٤ والخريدة (١١ : ٤٦ ا) والمجموع ا (١٩٩) .

(٤) فى المجموع « وصرفته » .

وأدخل عليه يوما بعض فتيانه باكورة نرجس، فكتب إلى ابن عمار يستدعيه[1] :

قد زارَنا النرجسُ الذكيُّ وحانَ من يومنا العَشِيُّ

ونحن في مجلسٍ أنيقٍ وقد ظَمِئنا، وثَمَّ رِيُّ

ولي خليلٌ غدا سَمِيِّي ياليتَه ساعدَ السَّمِيُّ

فأجابه ابن عمار :

لَبَّيك، لَبيك. من منادٍ له النَّدَى الرَّحبُ والنَّدِيُّ

هأنا بالباب عبدَ قِنٍّ قِبلتُهُ وجهُكَ السَّنِيُّ

شَرَّفَه والداهُ باسم شَرَّفْتَه أنتَ والنَّبِيّ

---

(١) هذا النص من الخريدة (١١ : ١٤٦) والمطرب ص ١٣ ، ومخطوطي الذخيرة (أ ٢ : ١١ و ب ٢ : ١٤) ونفح الطيب مصر (١١٥٥) .

(٦)

فخـــر

قافية الرّاء

وقال[١] :

الجودُ أحلَى على قلبى من الظَّفَـر ومن مَنال قَصِىِّ السُّـؤلِ والوَطَر

ومن غِناء أُرَيْوَى فى الصَّبوح لنا يا طاعَةَ الشّمس فى الآصال والبُكَرِ

وقد حَنَنْتُ إلى ما اعتدتُ من كرمٍ حنينَ أرض إلى مستأخِرِ المطَرَ

وقد تناهتْ يدى عن كأسِها غضبًا ومجّت الأُذُنُ أيضا نغْمةَ الوتَرِ

حتّى أُمَلِّكَ هـذى ما تجـودُ به وأسمعَ الحمـدَ بالأحرى على الأثَر

فهاتِهـا خِلَعـًا أرضى السّماحَ بهـا محفوفةً فى أكفّ الشّربِ بالبِـدَرِ

قافية القاف

وقال[٢] :

من عَزا المجـد إلينا قد صـدَق لم يُلَمْ من قال ، مهمَا قال حـقْ

قافية اللام

وقال بعد أن استولى على قرطبة[٣] :

مَنْ للملـوك بشأوِ الأصيدِ البطلِ هيهـاتَ ، جاءتكُم مهـديّةُ الدُّولِ

خطبتُ قرطبةَ الحسناءَ ، إذ مَنعتْ من جاءَ يخطُبُها ، بالبيض والأسَلِ

---

(١) هذا النص من المجموع أ (١٩٩) .

(٢) انظر القصيدة فى قافية القاف فى شعره فى الأسر .

(٣) هذا النص من قلائد العقيان ص ١١ . ونفح الطيب (أوروبا ١ : ٢٩٧) .

وكم غَدت عاطلًا حتى عَرَضتُ لها ... فأصبحتْ فى سَرِىِّ الحَلْىِ والحُلَلِ

عِرْسُ[1] الملوكِ لنا فى قصرها عُرُسٌ ... كُلُّ المـلوك به فى مـأتم الوَجَلِ

فراقبـوا عن قريب . لا أبالكُمُ ... هجومَ ليثٍ . بدرع البأس مشتَمِلِ

قافية الميم

ورُفع إلى المعتمد صدر دولته شعرٌ ، عُزِى إلى بعض الوزراء والكُتَّاب ، يُعرِّض بأبى الوليد بنِ زيدون[2] ، وأوله[3] :

يأيُّها المـلكُ العَـلِىُّ الأعظـمُ ... اِقـطَعْ وريدَىْ كلِّ باغٍ يَنـأمُ

---

(١) العِرس بالكسر : امرأة الرجل . والعرس بضمتين طعام الوليمة . وأضاف عرس فى أول البيت إلى الملوك إشارة إلى أن كل ملك يحب أن تكون له . ويرشح هذا قوله قبل ذلك " خطبت قرطبة الحسناء إذ منعت " .

(٢) من أشهر شعراء الأندلس . وقد وزر فى أول أمره لبنى جهور بقرطبة ثم ناله منهم محنة فخرج من قرطبة سنة ٤٤١ وافدا على المعتضد بن عباد باشبيلية فاستوزره وعلت رتبته عنده فكان من خواصه وصحابته ، فلما توفى المعتضد سنة ٤٦١ وتولى المعتمد الملك استوزره إلى أن توفى ابن زيدون سنة ٤٦٣ هـ .

(٣) النص من الذخيرة أ ٢ : ١٣ ، ب ٢ : ١٦ . وقلائد العقيان ص ١٥

فلما قرأها المعتمد ، عرف الغرض الّذى إليه قصدوا ، ووقّع على ظهر الرّقعة بهذه القطعة :

كَذَبَتْ مُناكُم ، صَرِّحوا أو جَمْجِموا ‌ ‌ الدِّينُ أمتَنُ ، والمُروءةُ[1] أكرَمُ

خُنتم ، ورُمتم أن أخُون ، وإنما[2] ‌ ‌ حاولتُمُ أن يُستَخَفَّ[3] يَلَملَمُ[4]

وأردتمُ تضييقَ صدرٍ لم يَضِق ‌ ‌ والسُّمرُ فى ثُغَرِ النُّحورِ[5] تُحطَّمُ

وزحفتُمُ[6] بُمحالِكُم لمجرِّبٍ ‌ ‌ ما زال يثبُتُ فى المحال فيَهزِمُ

أنّى رجوتُم غدرَ من جرَّبتُمُ ‌ ‌ منه الوفاءَ ، وجورَ[7] من لا يظلِمُ

أنا ذاكُم[8] ، لا البغىُ يُثمِرُ غرسُه ‌ ‌ عندى ، ولا مبنى الصّنيعةِ يهدَمُ

كُفُّوا ، وإلا فارقُبوا لىَ بَطشةً ‌ ‌ يُلْقَى السّفيهُ بمثلها فيُحلَّمُ[9]

---

(١) فى قلائد العقيان « والسجية » .

(٢) فى المصدر نفسه « وربما » .

(٣) يقال : استخف فلانا عن رأيه : حمله على الجهل والخفة وأزاله عما كان عليه من الصواب .

(٤) اسم جبل على مرحلتين من مكة .

(٥) هذه رواية القلائد . وفى الذخيرة « الصدور » .

(٦) فى قلائد العقيان « ورجعتم » .

(٧) فى المصدر نفسه « وظلم » .

(٨) فى المصدر نفسه « أنا ذلكم » .

(٩) يقال : حلمه تحليما كعظمه تعظيما : جعله حليما أو أمره بالحلم .

(٧)

رثاء

قافية الدّال

وقال من قطعة يرثى فيها سعدا ابنه[١] :

إذا كانَ قد أودى الزّمانُ بمثــلهِ ولم يَبق فى عَودٍ له طمَعٌ بعدُ
فلا بُترَت بُترٌ ، ولا قُنيت قَنًـا ولا زأَرت أُسدٌ ، ولا صهَلت جُردُ
ولازال ملذُوعاً على سيّدٍ حشًا ولا انفَكّ ملطُوما على مَلِك خدُّ

قافية الرّاء

وقال يرثى ابنيه المـأمونَ[٢] والرّاضىَ[٣] وقد رأى قُمريّة نائحة على سكنهـا ، وأمامَها وكر فيه طائران يردّدان نغما[٤] :

بَكَتْ أن رأت إلفَين ضَمّهُمَا وكرُ مساءً ، وقد أخنى على إلفِها الدّهرُ
بكَتْ،لم تُرِق دمعًا، وأسبَلتُ عَبرةً يُقصّرُ عنها القَطرُ مهماهمَى القَطرُ

---

(١) النص من خريدة القصر (١١ : ١٥٢) .

(٢) المأمون لقب عباد بن المعتمد ويكنى أيضا أبا الفتح وأبا نصر ، وهو أكبر أولاد المعتمد ، استخلفه أبوه على قرطبة بعد تغلبه عليها وإخراج ابن عكاشة منها وقتله إياه انتقاما منه لسراج الدولة بن المعتمد الذى قتل سنة ٤٦٨ هـ وظل المأمون على قرطبة إلى أن زحف عليها أحد جيوش يوسف بن تاشفين بقيادة أبى عبد الله بن الحاج فقتل بعد دفاع مجيد عنها فى (صفر سنة ٤٨٤هـ) .

(٣) الراضى لقب يزيد بن المعتمد . كان والى الجزيرة الخضراء من قبل أبيه قبيل اجتياز يوسف للأندلس . وهو الذى قبض على ابن عمار فى شقوره سنة ٤٧٧ وكان والى رنده إلى سنة ٤٨٤ ، وظل معتصما بها مدافعا عنها الجيش الثانى ليوسف بقيادة جرور اللتونى إلى أن قتل فيها بعد أخيه المأمون بقليل .

(٤) النص من خطيتى الذخيرة (أ ٢ : ١٨ وب ٢ : ٢٢) ونفح الطيب أوروبا (٢ : ٦٠٢) والقلائد ٢١ .

وناحت وباحت ، واستراحت بسرّها ... وما نطقت حرفاً ، يبوحُ [1] به سر

فمالِيَ لا أبكي ! أم القلبُ صخرةٌ ... وكم صخرةٍ في الأرض يجرى بها نهر

بكت واحداً لم يُشجِهَا غيرُ فقده ... وأبكي لألّافٍ ، عـديدُهم كُثْرُ

بُنَيّ ، صغيرٌ ، أو خليـلٌ موافقٌ ... يمزّق ذا قفرٌ ، ويُغرق ذا بحرُ

ونجمان ، زينٌ للزمان ، احتواهما ... بقرطبةَ النكداءِ ، أو رُندةَ ، القبرُ

غدرتُ [2] إذًا إن ضَنّ جفني بقطرهِ ... وإن أُومت نفسى ، فصاحبها الصبرُ

فقُل للنجوم الزُّهر تبكيهما معى ... لمثلهمـا فلتحزَن الأنجمُ الزُّهرُ

وقال يرثيهما ويذكر ابنه سراج الدولة أبا عمرو [3] :

يقولون صبرا ، لا سبيل إلى الصبر ... سأبكى وأبكى ما تطاولَ من عُمرى

قافية النون

وقال يندب ابنيه [4] :

ياغيمُ [5] ، عيني أقوى منك تهتانا [6] ... أبكى لحزنى ، وما حُمِّلتَ أحزانا

ونارُ برقِك تخبو إثرَ وقدتِها ... ونارُ قلبِيَ تبقَى [7] الدَّهرَ بُركانا

---

(١) رواية نفح الطيب « يباح » وكلتاهما بمعنى يظهر .

(٢) فى الذخيرة « غدوت » . وفى القلائد « عذرت » وما أثبتنا من النفح .

(٣) انظر هذه القصيدة الرائية فيهما أيضا فى شعر الأسر .

(٤) النص من خطيتى الذخيرة (أ ٢ : ١٩ و ب ٢ : ٢٣) وبعضه فى خريدة القصر (١١ : ١٥٢)

(٥) فى الذخيرة « يا عين » تحريف .

(٦) فى الذخيرة « بهتانا » تحريف .

(٧) فى المصدر نفسه « يلق » ولعل ما أثبتناه أولى .

نار وماءٌ صميمُ القلبِ أصلُهما ... متَى حوى القلب نيرانا وطوفانا

ضدَّان ،ألّف صرفُ الدّهر بينهما ... لقد تلوَّن فىَّ الدّهرُ ألوانَا

بكيتُ فَتحاً ، فإذْ ما رُمتَ سلوته ... ثَوَى يزيدُ ، فزادَ القلبَ نيرانَا

يا فلذَتَى كبِدى يأبى تَقطُّعها ... من[1] وَجْدها بكما ماعشتُ ، سُلوانَا

لقد هوى بكما نجمانِ مَا رَمَيَا ... إلّا من العُلوْ بالألحاظِ كيوانا

مُخفِّفٌ عن فؤادى أنّ ثُكلكما ... مُثقِّلٌ لىَ يومَ الحَشْرِ ميزانَا

يا فتحُ ، قد فَتَحتْ تلك الشهادةُلى ... باب الطَّاعَةِ فى لُقياك جذلاَنَا

ويا يزيدُ ، لقد زَاد الرَّجا بكما ... أن يشْفَع اللهُ بالاحسان إحسانَا

لمّا شَفَعت أخاكَ الفتحَ ، تتبعه ... لقَّاكُما الله غُفراناً ورضوانَا

منّى السّلامُ ، ومن أمّ مُفجَّعة ... عليكُما أبدا ، مثنى ووُحدانَا

أبكى وتَبكى ، ونُبكى غيرَنا أسفاً ... لَدى التّذكرِ ، نسوانا وولدانَا

---

[1] فى المصدر السابق « عن » .

(٨)

تهكّم

قافية الرّاء

قال ابن عمّار فى بنى عبد العزيز[١] مغريا بهم وخاطبا لنفسه ، فى الاستيلاء على بلنسية — قصيدة طويلة ، ونحلها ابن المطرّز الشّاعر ، وأوّلها [٢] :

بشّر بلنسيةً وكانت جنّةً ... أن قد تدلّت فى سَواء النّار

ومنها :

كيف التفلّتُ بالخديعة من يَدَىْ ... رجُلِ الحقيقةِ ، من بَنى عمّارِ

رجلٍ ، تَطعّمه الزمانُ ، بجاءه ... طَرَفين ، فى الإحلاء ، والإمرارِ

سَلِسِ القيادِ إلى الجميل ، فان يُهج ... قَدعِ العِنان لهبّةِ البتّار

طَبِنٍ بأغراض الأمور ، مجرِّبٍ ... فَطِنٍ لأسرار المكايد دارِ

كَشّافِ مُظلمة ، وسائسِ أمّةٍ ... نَفّاعِ أهل زمانه ، ضرّارِ

شرّابِ أكواس المُدام ، وتارة ... شرّابِ أكواس الدّم المهدار

جرّارِ أذيال القنا ، ظُنّوا به ... قد زاركم فى الجحفل الجرّارِ

---

(١) بنو عبد العزيز : امراء بلنسية .

(٢) النص من الذخيرة (أ ٢ : ١١١) وما بعدها والحلة السيراء ص ١١٥ ، وما بعدها . وكان ابن عمار بعد أن ضبط أمر مرسية قد طمع فى بلنسية . وانظر ما ذكرناه فى الرسائل ص ٥١

فلمّا سمع المعتمد هذا القصيد ، وقرع سمعَه فخارُ ابنِ عمّار[1] بقوله: كيف التفلّت بالخديعة ... قال معرّضا به :

الأكثرين مسوّدًا ، ومُملّكًا ومتوّجًا ، فى سالفِ الأعصارِ
المكثرين من الكِباءِ[2] لنارهم لا يُوقدون بغيره للسّارى
والمؤثرين على العيال بزادهم والضّاربين لهامة الجبّارِ
الناهضين من المهود إلى العُلا والمُنهضين الغارَ بعد الغارِ
إن كُوثروا كانوا الحصَى أو فاخروا فَمِن الأكاسرُ من بنى الأحرار
يُضحِى مؤمّلُهم يُؤمّل سيبَه ويبيتُ جارُهم عزيزَ الجارِ
تبكى عليهم شنّبوس بعبرةٍ كأتيِّها[3] المتدافِعِ التيّارِ
يبكى لها القصرُ المنيفُ تلألأت شُرفاتُه فى خُضرة الأشجارِ
ماضا حكتْه الشّمسُ إلّا خِلتَه نُضِحت جوانبُه بماء نُضارِ
تبكى القيانُ تجاوبت أوتارُها فى ساحتيه تجاوبَ الأطيارِ
ياشمسَ ذاكَ القصر، كيف تخلّصت فيه إليك طوارقُ الأقدارِ
لما تنَلْكِ شَعُوبُ ، حتى جاوزت غُلبَ الرّجال وسامِىَ الأسوارِ

---

(١) « هو محمد بن عمار و يكنى أبا بكر. أصله من قرية من أعمال شلب يقال لها شنبوس . مولده ومولد آبائه بها . كان خامل البيت ليس له ولا لأسلافه فى الرئاسة فى قديم الدهر ولا حديثه حظ » المعجب (٧٩) .

(٢) الكِباء ككساء : عود البخور .

(٣) الأتى : السيل .

كَمْ كانَ مِنْ أَسَدٍ هنالك خَادِرٍ ... لكَ حارِسٍ ، بأسِـنَّةٍ وشِـفَارِ

مِنْ قومِكَ الزُّهرِ الوجوه ، إذا الوغى ... كست الوجوهَ الغُرَّ ثوبَ القـارِ

من كُلّ أشوسَ[1] خائضٍ فى لجـّة ... نحو الـكُماة . بشـعلة من نارِ

لمـّا نمـاهم للعـلا عمـّارُهم ... تركُوا العُداةَ قصيرة الأعمـارِ[2]

---

(١) الشوس محركة : النظر بمؤخر العين تكبرا أو تغيظا .

(٢) روى ابن بسام أنه حين بلغ ابن عمار شعر المعتمد هـذا . . . قل حد صبره وشاعت فى الناس أشعار عزيت إلى ابن عمار فى القدح فى المعتمد وآله وذويه» وانظر الذخيرة (أ ٢ : ١١١) .

(٩)

الاجازة

ركب المعتمدُ يوما فى النّهر ، ومعه ابنُ عمّار وزيرُه ، وقد زرّدت الرّيح النهر ، فقال ابن عباد لابن عمّار : أجز : (صنع الرّيحُ من المـاء زَرَد) ، فأطال ابنُ عمّار الفكرة ، فقالت امرأة : (أىُّ درع لقتال لو جَمَد) ، فتعجّب ابن عباد من حسن ما أتت به[1] .

وركب ، للتّنزّه بظاهر إشبيلية ، فى جماعة من ندمائه وخواصّ شعرائه ، فلمـا أبعَد أخذ فى المسابقة بالخيول ، فجاء فرسه بين البساتين سابقا ، فرأى شجرة تين قد أينعت وزهت ، وبرزت منها ثمرةٌ قد نضجت ، فسدّد إليها عصًا كانت فى يده فأصابها ، وثبتت فى أعلاها ، فأطربه ما رأى ، والتفت ليخبر من لحقه ، فرأى ابنَ جاخ الصَّبّاغ أوّل لاحق به ، فقال : أجز : كأنّها فوق العصَا

فأجابه مسرعا : هامةُ زنجىّ عَصَى

فزاد طربُه وسرورُه ، وأمر له بجائزة[2] .

---

(١) النص من أوله إلى هنا من نفح الطيب (أوروبا ٢ : ٥٦٨) و (مصر ١١٠٠) نقلا عن المسهب والمغرب وفى صفحة ٩٨٨ من المصدر نفسه نقلا عن (بدائع البدائه) أن الذى صنع النزهة بالنهر هو عبد الجليل بن وهبون الشاعر وكان فيمن معه ابن حمديس الصقلى ، فلما دنت الشمس للغروب هب نسيم ضعيف غضن وجه الماء، فقال ابن حمديس لجماعة أجيزوا «حاكت الريح من الماء زرد» فكان ممن أجازه أبو تمـام غالب بن رباح الحجاج ، إذ قال : «أى درع لقتال لو جمد» وانظر ديوان ابن حمديس .

(٢) النص من أوله إلى هنا من بدائع البدائه ص ٣٩ . وعقد الأجياد فى الصافنات الجياد ص ٢٩٦ .

وحكى ابنُ حمديس قال : لمّا قدمت وافدا على المعتمد بن عبّاد ، استدعانى وقال : افتح الطّاق ، فاذا بكير زجاج ، والنّار تلوح من بابيه ، وواقده يفتحهما تارة ، ويسدّهما أخرى ، ثمّ أدام سدّ أحدهما وفتح الآخر . فحين تأملتهما ، قال لى : أجز[1] :

انظرهما فى الظّلام قد نجمَا

فقلت : كما رَنَا فى الدُّجُنّة الأسَدُ

فقال : يَفتح عيْنَيه ثمّ يُطبقها

فقلت : فعل امرئٍ فى جفونه رمَدُ

فقال : فابتزّه الدّهر نُورَ واحدة

فقلت : وهل نجا من صُروفه أحدُ

فاستحسن ذلك وأطربه ، وأمر لى بجائزة ، وألزمنى الخدمة .

وركب المعتمد فى بعض الأيّام ، قاصدا الجامع يوم الجمعة ، والوزير أبو بكر ابن عمّار يسايره ، فسمع أذانَ مُؤذّن ، فقال المعتمد[2] :

هــذا المؤذّنُ قد بدَا بأذَانه

فقال ابن عمّار : يرجُو بذلك العفوَ من رَحْمانه

---

(١) النص من نفح الطيب (مصر ٣ ١١٢٣) وانظر ديوان ابن حمديس (قافية الدال) .

(٢) هذا النص من خريدة القصر (١١ : ١١٤) ونفح الطيب مصر (٩٩٢) .

فقال المعتمد :

طُوبى له مِن شاهِدٍ بحقيقة

فقال ابن عمّار : إن كان عقدُ ضميرِه كلسانِه

وذكر الوزير أبو بكر الدانى[1] ، فى كتابه : (سَقيط الدرر ، ولقيط الزهر) ، أن المعتمد بنَ عبّاد صنع قسيما فى القبّة المعروفة بسعد السّعود ، فوق المجلس المعروف بالزّاهى ، وهو[2] :

سَعدُ السُّعود يتيه فوق الزّاهِى

ثمّ استجاز الحاضرين فعَجَزوا ، فصنع ولدُه عبدُ الله الرّشيدُ :

وكلاهُما فى حُسنه مُتناهِى

ومن اغتدَى سَكَنًا لمثلِ محمّدٍ قد جلَّ فى العليَا عن الأشباهِ

لا زال يبلغُ[3] فيهما ما شاءَه ودَهَتْ عِداهُ من الخطوب دَواهِى

---

(١) هو أبو بكر محمد بن عيسى اللخمى المعروف بابن اللبانة كان من جلة الأدباء وفحول الشعراء غزير الأدب قوى العارضة متصرفا فى البلاغة ، وله تواليف جمة ، منها : كتاب نظم السلوك فى وعظ الملوك . وسقيط الدرر ولقيط الزهر . وشعره — كما ذكروا — مدون . وتوفى بميورقه سنة ٥٠٧ ه .

(٢) النص من نفح الطيب (أوروبا ٢ : ٥٧٥) (ومصر ١ ٩٩) وبدائع البدائه ص ٤٥ . وانظر التكملة لابن الأبار والحلة السيراء ص ٧٣

(٣) فى البدائع والحلة « يخلد » .

(١٠)

المعمّيات

دارت هذه المعمّيات بين المعتمد ووزيره ابنِ زيدون ، فكان أحدهما يرسل إلى الآخر قصيدة يشير بها إلى بيت أو بيتين من الشعر رامزا إلى كلّ حرف من حروفه باسم طير من الطّيور ، ولذلك يسمّى البيت بالمطيّر . وقد بدا لنا أنّ هذه الرّموز ليست على وتيرة واحدة . فنجد الطير في قصيدة يرمز إلى حرف ، وفي قصيدة أخرى يرمز إلى غيره ، ممّا يدلّ على أنّهما كانا يغيران رمزهما . وهذه المعمّيات التي بين أيدينا — فيما يظهر لنا — قد قصد بها التّسلية ، وربّما كان مثلها يستخدم في المسائل السّرّيّة ، كالتي تستعمل في حالات الحرب ، ولكنّ هذا النّوع الأخير لم نعثر عليه بينهما .

وأهمّ ما يبدو في هذه المعمّيات ، أنّ الملغِز يضع فكرة البيت المراد في قصيدته ، فكأنّه يضع مفتاحا لحلّ الرمز .

(١)

كتب المعتمد إلى ابن زيدون[1] :

ياسيّدى ، يامعدن العلمِ	يا آلةً للحرب والسِّلمِ
وجّه طيورَ الشّعر نحوى ، فقد	بثّ فؤادى شركَ الفهم

فبعث إليه ابن زيدون :

ألحقَنى بِرُّك بالنّجمِ	يا بن البدورِ الزُّهرِ من نجمِ
يا لابسَ المجدِ الّذى زانه	بالعلم ، زينَ البُرد بالرّقمِ

(١) هذا النص وتاليه من ديوان ابن زيدون المخطوط ص ١٠٤ و ١٠٥

قد لثمت كفِّى الدرارِىَّ مذ　　شافهتُ تلك الكفَّ باللّثمِ
قُلِّد منك الملكُ عضبَ الظُّبا　　يمضى مضاءَ القَدَرِ الحتمِ
فِرِنْدُه الرّقراقُ من بِشره　　وحدُّه من نافذ العــزمِ
قد جاءنى النَّظمُ الذى خلتُه　　مؤلَّفَ اللّؤلؤ فى النظمِ
حلَّيتنى منــه بفخرٍ يُرى　　فى غُفْلِ حالى رائقَ الوَسمِ
مستدعيًا طيرَ المعمَّى لكى　　يصيدَها فى شَرَكِ الفهمِ
فهاكها تُهدَى إلى خاطرٍ　　يَستَخرِجُ الإفصاحَ من عُجْمِ

ومعها هذه القصيدة الرامزة[1] :

يأيهـا الظافر نلتَ المُنى　　ولا ينَلْنا فيــك محذورُ
إنّ الخلالَ الزُّهرَ قد ضمَّها　　ثوبٌ ، عليك الدّهرَ مزرورُ
لا زال للمجد الذى شدْتَه　　ربعٌ — بتعميرك — معمورُ
حتى يُوَفَّى فيك ما يَبتغى　　معتضدٌ بالله منصــورُ

• • •

وافاك نظمٌ لى فى طيِّه　　معنى معمَّى اللفظِ مستورُ
مرامُه يصعب ، مالم يَبُح　　بالسّر — قُمرىٌّ وعصفورُ
وبلبلٌ ، ثم يــكرّر اللّذا　　تقدّما ، فاللفظُ مــكرورُ
ثم ترى البلبلَ ، قد حثَّه　　نَسرٌ ، به الشّفْنينُ منسورُ

(١) هذا النص من ديوان ابن زيدون المخطوط ص ١١٠

ثمّ الغرابُ الجونُ ، يتلوه قُم … رِىّ ، ودرّاجٌ ، وزُرزورُ

ثمّ يلى الدّراجُ من بعدُ غر … نيقٌ ، ومُكّاءٌ ، وشرشورُ

وباشقٌ ، ثمّ إذا حلّق الشا … هينُ ، والعُصفور مذعورُ

ثمّ سلِ المكّاء يَصْدُقك ، والـ … عصفور ، والقُمرىّ مزجورُ

وإن جرى الدّرّاجُ فى إثره الزّ … رزور ، فالمطوىّ منشورُ

وثَمَّ فاعلم أن موضوعَهـا … حرفٌ لفصل اللفظ مقدورُ

وفى الذى عمّيتُ نصحٌ لمن … جدّ — من الأعداء — مشكورُ

ففكّه المعتمد بهذا البيت :

أنت إن تغـز ظافرُ فليطع من ينـافرُ[1]

---

(١) حل الرمز :

الحرف	الطائر	الحرف	الطائر	الحرف	الطائر	الحرف	الطائر
أ	قمرى	غ	نسر	ف	دراج	ن	عصفور
ن	عصفور	ز	شفنين	ل	غرنيق	ى	مكاء
ت	بلبل	ظ	غراب	ى	مكاء	ن	عصفور
أ	قمرى	ا	قمرى	ط	شرشور	ا	قمرى
ن	عصفور	ف	دراج	ع	باشق	ف	دراج
ت	بلبل	ر	زرزور	م	شاهين	ر	زرزور

ثم أجابه المعتمد بالشعر التالى[1] :

يا خيرَ من يلحظه ناظرى شهادةً ما شـابها زُورُ

ومن إذا ماليلُ خطب دجا لاحَ به ، من رأيه ، نورُ

رأيُك ، إمّا شمتَه ، صارمٌ عضبٌ ، على الأعداء ، مشهورُ

جاءتنيَ الطّـيرُ التى سِرُّها نظمٌ ، به قلـبيَ مسرورُ

شعرٌ ، هو السّحرُ ، فلا تنكروا أنّى به ، ما عشت ، مسحورُ

اللّفظُ ، والقرطاسُ . إن شبِّها قيل : همـا مسك وكافورُ

وإنّه لمـا اغتدى خاطرى مُسـائلا جاوبَ عصفورُ

هوى بجيش الطّيرِ من فكرتى صقرٌ ، فولّى وهـو مقهورُ

فـلاح لى بيتٌ ، فؤادى له دأبا ، على وُدِّك مقصـورُ

حظُّك من شكرِيَ يا سيّدى بمـا بدا لى منك ، موفورُ

قصّرت فى نظميَ ، فاعذرِ ، فمن ضاهاك فى التّقصير معذورُ

فأنت إن تنظِمْ وتنثر ، فقـد أعـوزَ منظومٌ ومنثـورُ

لا يَعدمَنكُمْ روضٌ من الحـظ فى الإكرامِ والتّرفيع ممطورُ

فردّ عليه ابن زيدون بقصيدة طويلة مطلعها :

حظّيَ ، من نُعماك موفورُ وذنبُ دهرِى بك مغفورُ[2]

(١) هذا النص من ديوان ابن زيدون المخطوط ص ١١٠

(٢) تمام القصيدة بديوان ابن زيدون المخطوط ص ١١١

(٢)

وكتب ابن زيدون إلى المعتمد :

أيها الظافر ، لا زلـت مدى الدنيا مظفّرْ
أنت أسنى ابنٍ لأسمى والدٍ فى الدّهر ، فافخرْ
إن تُرد شرح معمًّى هو فى نظمىَ مُضمَرْ
فاسأل الشّاهينَ،والصّقـرين والعنقاءَ ، تُخْبَرْ
ثمّ زالَ القفر ، والقيّـادَ ، والنّسرَ المعمَّرْ
ثمّ بعد الدّيك عُد للنّسـر والزّالِ المنقّـرْ
ثمّ عُد للنّسر والزّال فكلّ قـد تكرّرْ
والحُبـارَى والسُّمانى والشِّقرّاق المحبّرْ
ثم سائل بعدها البـازىَ إن حلّ فصَرصرْ
معه الطّاووس والدّيك إذا بالصّبح بشّرْ
تِلوه القُمرىّ مهما ردّد السّجعَ فقرقرْ
ثمّ نادِ الهَيق والزّالَ لعـل السّرّ يظهـرْ
وتعيَّف ما لدى القَبْـجين[1] من خاف سيظهرْ
ثمّ عُد للنّسر والزّال هما فى الأمر أكثرْ
وازجر العَقعق حقّ الـزَّجْر إنّ الطّير تُزجرْ
ولْيَلِ الزّالَ سُمانى وشـقرّاق تأخّرْ
لك ذهنٌ بالذى فى الشّـعر من خبءٍ سيُشعَرْ
فتأمّل ما انبرى فِكـرى له ، ثمّ تدبّرْ

---

(١) القبج محرك وسكن للشعر وسيأتى .

واعتقد أنّىَ فى نَمَ كمن خَط فسطَّرْ
وتيقّن أن ما ينْــــفَك أمرُ سوف يُقدَرْ

وحل المعتمد اللّغز فكان البيت المراد هو :

صدّق لنا فال السّمه تظفر عَلِّ الكلمه[1]

ثم أجابه بهذه القصيدة[2] :

أيها الفائقُ أهـلِ الــــعصر فى مرأىً ومَخبرْ
لك آراءٌ متى تَنْـــــهَد إلى الأعداء تَظفَرْ
وافقَ العنبرُ من لفــــظِك من ذِهنىَ مُجمَرْ

(١) هذا هو الحل

الحرف	الطائر	الحرف	الطائر	الحرف	الطائر	الحرف	الطائر
ص	شاهين	أ	نسر	ت	بازى	ا	نسر
د	صقران	ل	رأل	ظ	طاووس	ل	رأل
ق	عنقاء	ا	نسر	ف	ديك	ك	عقعق
ل	رأل	ل	رأل	ر	قزى	ل	رأل
ن	زياد	س	حبارى	ع	هيق	م	سمانى
ا	نسر	م	سمانى	ل	رأل	ه	شقراق
ف	ديك	ه	شقراق	ى	قبجان		

(٢) هذا النص وسابقه من ديوان ابن زيدون المخطوط ص ١٠٦ و ١٠٧ على التوالى

فعرفنا بذكى الـعرف ما قد كان مُضمَرْ
ولعَرْفُ الكلِمِ العذ ب من العنبرِ أعطرْ
وسألنا صقرَ أطيا رك بالسِّرِّ فأخبرْ
وغدا النَّسرُ خطيبا إذ غدا القرطاس منبرْ
وبدا ما كان يَخفى وفَشا ما كان يُسترْ
نظمُ دُرٍّ يستبى القلـ بَ متى يُنظمْ ويُنثَرْ
دلّنى أنك فى الخلصان معقودٌ بخِنصرْ
دمت فى عيش هنىٍّ صفوهُ غيرُ مكدّرْ

فأجابه ابن زيدون بقصيدة مطلعها :

بمكانى منك أفخرْ واعتقادى لك أذخرْ[1]

(٣)

وكتب إليه ابن زيدون[2] :

يامرضيا كل مخذم ومُرويا كلّ لهَذمْ
ويا سَمىَّ المُصلَّى على اسمه والمسلِّمْ
ويابنَ أعظمِ من ها بهُ الملوكُ وأكرمْ
وافاك للطّيرِ سربٌ لديه سرٌّ مُكتّمْ

(١) تمام القصيدة بديوانه المخطوط ص ١٠٨ .

(٢) هذا النص من ديوان ابن زيدون المخطوط ص ١١٣ :

إنْ تسألِ الطيرَ عنه   مُستعلِما منه تعلَمْ

والنَّسرُ والرُّهوُ ينبيك   والظَّليمُ المُصَلَّمْ

ثمّ الهديلُ تليه   حمامةٌ تترنَّمْ

إلى عُقابين يدعو   هما الظليمُ فيفهمْ

ثمّ العقاب مع الصقرِ   فهو بالشّرح أنعمْ

والرّالُ والرّهو والقبجُ   فالثّلاثة حُوَّمْ

ثمّ العُقاب فسله   والصّقرُ لا يتلعثمْ

إلى حُبارى وبازٍ   وحالكِ اللّونِ أعصَمْ

ثم السّمام مع الرّا   لِ ، كى يبوحَ المجمجمْ

إلى عُقاب ورهوٍ   يفصح بما شئت أسحمْ

وما الظّليمُ بآل   فلو زجرتَ لترجمْ

ثمّ العُقابُ سيُوحى   للصّقر لا تتكلمْ

وعَقعقٌ وهَديل   والقبجُ فى ذاك ملثَّمْ

وثمّ فصلٌ كما قد   عهدتَ فيما تقدّمْ

يا ملبسَ الدّهرِ وشيًا   من الجمال مُنمنمْ

اسلم سنىَّ الأمانى   مؤزّرَ النّصر مُطعمْ

ففكّه المعتمد فكان البيت المعمىّ هو :

أَهْلك عدوَّك واسلم واظفَر بسُؤْلك وانعم[١]

(٤)

وأرسل المعتمد إلى ابن زيدون قصيدة رمز فيها بالطّيور إلى حروف البيتين الآتيين :

شعرُ من مَحْضُ وُدِّه لك فى عِلمِ طيرِه

فهى مهما زجرتَها لم تخبِّرْ بغيره

ففكهما ابنُ زيدون ووضعهما فى آخر قصيدة هى[٢] :

أيّها الماجدُ الذى خِيره وَفْقُ خَيْرِه

والذى سَيرُ مشترِى أُفقنا دون سيرِه

ملكٌ صحّ من أديم الهدى قدُّ سَيْرِه

(١) إليك الحل :

الحرف	الطائر	الحرف	الطائر	الحرف	الطائر	الحرف	الطائر	الحرف	الطائر
الهمزة	طير	و	عقاب	ل	رهو	ر	(أعصم) ظبي	و	عقاب
هـ	نسر	و	عقاب	م	قبج	ب	سمام	أ	صقر
ل	رهو	ك	ظليم	و	عقاب	س	رال	ن	عقعق
ك	ظليم	و	عقاب	ا	صقر	و	عقاب	ع	هديل
ع	هديل	ا	صقر	ظ	حبارى	ل	رهو	م	قبج
د	حمامة	س	رال	ف	باز	ك	ظليم		

(٢) هذا النص من ديوان ابن زيدون المخطوط ص (١٠٦) .

فَهُوَ الدّهرَ نفعُـه حاضرٌ دون ضَـيرِه
ياللّيالى سئمتُ من سهرى فى قُمَـيره
عزَّ فى وَهنه مرا مٌ عَنَا فى سحيره
* شعرُ من محضُ ودّه لك فى علم طَـيرِه
فهى مهما زجرتها لم تُخـبّر بغيرِه

(٥)

وكان ابن زيدون قد أرسل قصيدة معمّاة إلى المعتمد ، فأجابه المعتمد بأربعة أبيات ، ووضع خامسها البيت المطلوب وهى[١] :

ياسيّدى الأعلى ومَن عدَدْته أقوى العُدَدْ
حلّت طيورُك بى وقد قرَّبتَ منهـا ما بعُدْ
كاشفتَنا عن سرّها فوشى إلىّ بها الصُّرَدْ
بيتًا يدلّ على اعتقا دك ياجميـلَ المعتقدْ
"الحاجبُ الأعلى العَضُد قـرّةُ عينِ المعتضِد"

فأجابه ابن زيدون بقصيدة مطلعها[٢] :

لو أنَّ من جارَ قصد لم يجْزِ عن وصلى بصَدْ

(١) هذا النص من ديوان ابن زيدون المخطوط ص ٩٧

(٢) تمام القصيدة فى ديوان ابن زيدون المخطوط ص ٩٨

القسم الثانى

عهد المحنة والأسر

(أ) قبيل الأسر

قافية الدال

وخاطبَ أبا بكرٍ[١] المنجِّمَ الخَـولانىّ حين دُخِل عليه البلدُ[٢] بقوله[٣]:

أَرَمِدْتَ أم بِنُجومك الرَّمَدُ ؟   قد عاد ضِدًّا[٤] كُلُّ ما تَعِدُ

هل فى حسابك ما تُؤمِّلُه   أم قد تَصرَّمَ عندك الأَمَدُ

قد كنتَ تَهمِسُ إذْ تُخاطبنى   وتخُطُّ كَرهًا إن عَصَتْك يَدُ

فالآن لا عينٌ ولا أثرٌ   أتُراك غيَّبَ شخصَك البلدُ

وَتراك بالعَذْراء فى عُرُس   أم إذ كذبت سَطَا بك الأسَدُ

المُـلكُ لا يَبقى على أحدٍ   والمـــوتُ لا يَبقى له أحدُ

---

(١) هو منجم المعتمد وكان المعتمد — كما كان كثير من أهل عصره — ممن يؤمن بالتنجيم ويستهويهم الاستدلال بالنجوم وقد اصطحب المعتمد أبا بكر هذا معه عند بدء معركة الزلاقة فكان يخبره بطالع الوقت قبل نشـوب القتال . (وانظر الحلل الموشية ص ٣٩ و ٤٠) .

(٢) هوجمت إشبيلية من المرابطين يوم الثلاثاء منتصف رجب سنة ٤٨٤ (ابن بسام ٢ : ٣٢ ؛ وأعمال الأعلام ص ١٨٩) فخرج المعتمد لملاقاة عدوه وردهم على أعقابهم وظلت الحال مضطربة بإشبيلية خمسة أيام وإلى ذلك يشير ابن بسام بقوله "ثم التوت الحال بالمعتمد أياما يسيرة والناس بحضرة إشبيلية قد استولى عليهم الفزع وخامرهم الجزع يقطعون سبلها سباحة ويخوضون نهرها سباحة ويترامون من شرفات الأسواق . . . فلما كان يوم الأحد الموفى عشرين من رجب المؤرخ ٤٨٤ دخل البلد على المعتمد . . ." وانظر المعجب (٩٩) .

(٣) النص من أصل الذخيرة (أ ٢ : ١٤ ؛ ب ٢ : ١٨) .

(٤) فى أصل الذخيرة « جدا » تحريف .

قافية العين

وقال حين هوجمت إشبيلية ، فخرج مدافعا عن نفسه وأهله وكان قد أشار عليه وزراؤه بالخضوع والاستعطاف[1] :

لَمَّا تَماسَكَتِ الدُّموعُ وتَنَبَّــه القلبُ الصَّديعُ
قالوا : الخضوعُ سياســةٌ فلْيَبْدُ منك لَهُمْ خضُوع
وألذُّ من طَعْمِ الخــضو ع على فمى السُّمُّ النّقيع
إن يسلُبِ القومُ العِدَا[2] مُلْـكى وتُسْلِمْنى الجمُــوع
فالقلبُ بين ضــلُوعه لم تُسلِمِ القلبَ الضُّلُوع
لم أُسْتَلَب شَرَفَ الطِّبا عِ ، أيُسلَبُ الشّرفُ الرفيع
قد رُمت[3] يومَ نِزَالهم ألا تُحَصِّــنَنِى الدُّرُوع

---

(١) هذا النص من خريدة القصر (١١ : ١٥١) والقلائد ص ٢٢ ، والذخيرة (أ ٢ : ١٣ ، ب ٢ : ١٨) ونفح الطيب مصر ١١٣٧ وأعمال الأعلام ص ١٩٠ .

(٢) فى الذخيرة «إن تستلب عنى الدنا» .

(٣) فى أعمال الأعلام «كم رمت» .

وبرزتُ ليس سوَى القَـميص[١] على الحشَا شيءٌ دَفُوع

وبذلتُ نفسى كى تَسـيلَ إذا يَسِيلُ بها النَّجِيع

أَجَـلى تأخَّر ، لم يكُن بهـواى ذُلِّى والخضُوع

ما سرتُ قطُّ إلى القتـا ل وكان[٢] من أمَلِي الرجوع

شِيمُ الأُلى ، أنا منهمُ والأصلُ تتبعـه الفروع

(ب) فى الأسر

قافية الهمزة

روى العماد الأصفهانىّ فى خريدة القصر بإسنادعن قاضى الجماعة بإشبيلية: "أنّه لمـا خُلع المعتمد غَرَّبه يوسف بن تاشفين إلى العُدوة ، فوصل إلى موضع منها ، وأهل البلد خارجون للاستسقاء فأنشد[٣] :

خَرَجُوا ليستَسقُوا ، فقلتُ لهم دَمعى يَنـوبُ لكُم عن الأَنواءِ

قالُوا : حقيقٌ ، فى دموعك مَقْنَعٌ لكـنَّها ممزوجـةٌ بدماءِ

---

(١) يقول المعجب «فبرز هو من قصره ، سيفه بيده وغلالته ترف على جسده لا درقة له ولا درع عليه » (٩٨) .
ويقول أعمال الأعلام «وركب المعتمد ... وعليه قميص يشف عن بدنه وقد اعتزل السلاح والسيف منتضى بيده وحمل على الداخلين فردهم على أعقابهم وقتل منهم فارسا وانزعج الناس أمامه وخافوا الباب فأمر بسده وعاد إلى القصر وإلى تلك الحال يشير بقوله :

كم رمت يوم نزالهم ... وانظر أعمال الأعلام (١٩٠) .

(٢) فى الغيث المسجم (١ : ١٥٣) «فكان» .

(٣) النص من خريدة القصر ١١ : ١٤٤ .

وكان الوزير أبو العــلاء زُهر بنُ عبد الملك بنِ زُهر بمراكش ، قد استدعاه أمير المسلمين لعلاجه ، فكتب إليه المعتمد راغبا فى علاج بعض كرائمه ، ومطالعة أحوالها بنفسه ، فقام بعلاجها ، ورفع قدر المعتمد بالتّبجيل ، ودعا له بالبقاء الطّويل ؛ فكتب إليه المعتمد إثر ذلك بهذه الأبيات[1] :

دعَا لى بالبقـاءِ ، وكيف يَهوى ... أسيرٌ أنْ يطولَ به البقـاءُ

أليس الموتُ أروحَ من حيـاةٍ ... يطولُ على الشّقىّ بهـا الشّقاءُ

فَمَن[2] يكُ من هواه لِقاءُ حِبٍّ ... فإنّ هَواى من حَتفى اللّقـاءُ

أأرغبُ أن أعيشَ أرى بناتى ... عَوارِىَ ، قد أضرَّ بها الحَفـاءُ

خَوادمَ بنتِ مَن قد كان أعلى[3] ... مراتبه — إذا أبدُو — النّداءُ

وطردُ النّاس بين يدَىْ مَمرّى ... وكفُّهمُ إذا غَصَّ الفنـاءُ

وركضٌ[4] عن يمين أو شمالٍ ... لنظمِ الجيش إنْ رُفع اللواءُ

يُعنّيـــه أمامٌ أو وراءٌ ... إذا اختـلّ الأمامُ أو الوراءُ

ولـكنّ الدّعاءَ إذا دعاه ... ضمـيرٌ خالص نَفَـع الدّعاءُ

جُزيتَ أبا العــلاء جزاءَ بَرٍّ ... نوى بِراً ، وصَاحَبكَ العَـلاءُ

سيُسلِي النّفسَ عمّن فات علمى ... بأنّ الكلَّ يدركُهُ الفَنـاءُ

---

(١) هذا النص من المعجب (١٠٩) والذخيرة (ا ٢ : ٦٦)

(٢) هذا البيت وتاليه ساقطان من الذخيرة .

(٣) قال المراكشى فى المعجب " وبلغ من حال المعتمد على الله بأغمات أن آل حظياته وأكرم بناته ألجئت أن تستدعى غزلا من الناس تسد بأجرته بعض حالها وتصلح به ما ظهر من اختلالها . فأدخل عليها فيما أدخل غزل لبنت عريف شرطة أبيها كان بين يديه يزع الناس يوم بروزه لم يكن يراه إلا ذلك اليوم ... " ص ١١٩ .

(٤) فى الذخيرة « وركض عن يمين أو شمال ... إذا اختل الأمام أو الوراء »
وبذلك حذف شطرى بيتين .

قافية البـاء

ولمـّا وصل إلى طنجة[١] أسـيرا ، أرسل إلى الحُصرى المكفوف بثلاثين مثقالا ، وأَدْرَج قطعةَ شعر طيها ، مُعتذرا من نَزْرِها ، راغبا فى قبولهـا ، فلم يُجاوبه الحصرى ، فكتب إليه المعتمد بهذه الأبيات[٢] :

قُل لمن قد جَمَعَ العلـمَ و[ما][٣] أحْصَى صَوابَهْ
كان فى الصُّرَّة شـعرٌ فتَنَظَّرنا جـوابَهْ
قد أَثَبنَـاك[٤] فهـلّا جَلَبَ الشِّـعرُ ثوابَهْ

ولمـّا اتّصل بزعانفة الشّـعر ومُلْحِفى أهل الكُدية بطنجة ما صنع المعتمد مع الحصرى تعرضوا له بكل طريق ، وقصدوه من كل فج عميق ، فقال[٥] :

شُـعراءُ طنجةَ كلُّهم والمغـرب
ذهبوا من الإغراب أبعدَ مذهب[٦]

---

(١) قال المراكشى فى المعجب (ص ١٠١) " كان نزول المعتمد من العدوة بطنجة فاقام بها أياما ولقيه بها الحصرى الشاعر فجرى معه على سوء عادته من قبح الكدية وإفراط الإلحاف فرفع إليه أشعارا قديمة قد كان مدحه بها وأضاف إلى ذلك قصيدة استجدها عند وصوله إليه ، ولم يكن عند المعتمد فى ذلك اليوم مما زود به — فيما بلغنى — أكثر من ستة وثلاثين مثقالا فطبع عليها وكتب معها بقطعة شعر يعتذر من قلتها وكان نزول المعتمد بطنجة أسيرا سنة ٤٨٤ هـ "

(٢) هذا النص من الذخيرة أ ٢ : ١٨ ، ب ٢ : ٢١ والمعجب ص ١٠١

(٣) سقط بنسختى الذخيرة والتكملة من المعجب .

(٤) فى الذخيرة " أثبناك " تحريف والصواب من المعجب .

(٥) النص من خريدة القصر (١١ : ١٥١) والذخيرة أ ٢ : ١٨ ، ب ٢ : ٢٢ ، وابن خلكان (٢ : ٤٨) والمعجب (١٠١) ، وشذرات الذهب (٣ : ٣٨٩) .

(٦) هذا البيت والبيت الأخير وردا فى الذخيرة والمعجب .

سألوا العَسيرَ[١] من الأسير وإنّه
بسؤالهم[٢] لَأَحقُّ منهم فاعجبِ[٣]

لولا الحياءُ وعزّةٌ لخميّةٌ
طيَّ الحشا لحكاهُمُ في المَطْلَبِ

قد كان إن سُئِل النّدى[٤] يُجزلْ وإن
نادى الصَّريخُ ببابه اركبْ يركبِ

وسأله رجل يعرف بابن الزنجارى أن يزوّده من شعره ، فكتب إليه[٥] :

لو أستطيعُ على التزويدِ بالذّهب فعلتُ ، لكن عدانى طارقُ النُّوَبِ
يا سائلَ الشّعر يجتابُ الفلاةَ بِهِ تزويدُكَ الشّعرَ لا يُغنى عن السَّغَبِ
زاد من الريح لا رِيٌّ ولا شِبَعٌ غَدَا له مُؤثراً ذُو اللُّبِّ والأدبِ
أصبحتُ صفراً يدى مما تجود به ما أعجبَ الحادثَ المقدورَ فى رجبِ
ذلٌّ وفقرٌ أزالا عزّةً وغنىً نُعمى الليالى من البلوى على كَثَبِ
قد كان يستلِبُ الجبارَ مهجتَه بَطشى ، ويحيا قتيلُ الفقر فى طلبى
والمُلك يَحرُسه فى ظلّ واهبه غُلْبٌ من العُجم أو شُمٌّ من العَربِ
لحين شاء الذى آتاه ينْزِعُه لم يُجد[٦] شيئاً قراعُ السُّمْرِ والقُضُبِ
فهاكها قطعةً يطوى لها حسدا السّيف أصدق أنباءً من الكُتبِ[٧]

---

(١) فى خريدة القصر ووفيات الأعيان وشذرات الذهب " اليسير " .
(٢) فى الذخيرة " لسؤالهم " .
(٣) فى الذخيرة والمعجب " فاعجب واعجب " .
(٤) هذه رواية المعجب وفى الذخيرة " الغنى جزل "
(٥) هذا النص من أوله الى آخر الأبيات من الذخيرة : ٤ أ ٢ : ١٨ ؛ ب ٢ : ٢٢ .
(٦) فى الذخيرة " ما يجدى " .
(٧) مطلع قصيدة أبى تمام فى فتح عمورية ، وانظر ديوان أبى تمام .

وقال[١] :

أرى الدّنيا الدّنيَّـةَ لا تُوَاتى ... فأَجمِلْ فى التَّصرُّف والطِّلابِ

ولا يَغْـرُرْك منها حُسنُ بُرْدٍ ... له عَلَمان من ذَهَبِ الذّهابِ

فأوّلهـــا رجاءٌ من سَرابٍ ... وآخرُها رِداءٌ من تُرابِ

قافية الحاء

قال فى مكثه فى القيد[٢] :

قَضى وطرًا من أهله كلُّ نَازِحٍ ... وكَرَّ يُداوى علّةً فى الجوارح

سوایَ فانی رَهنُ أدهم مُبهمٍ[٣] ... سـبيلَ نجاتى آخذٍ بالمبارح

وعتب المعتمد على ابنه الرشيد فى طريقه من مِكناسَةَ إلى أغمات عتباً أفرط فيه ، فكتب إليه الرشيد يستعطفه[٤] :

يا حَليفَ النّـدى وربَّ السّماحِ ... وحبيبَ النُّفوس والأرواحِ

من تمـامِ النُّعمى علىَّ التماحى ... لمحةً من جبينك الوضَّـاحِ

قد غَنِيَنـا ببشره وسنـاهُ ... عن ضـياءِ الصَّباح والمِصباحِ

---

(١) النص من الحلة السيراء ص ٧١

(٢) النص من خريدة القصر (١١ : ١٥٣) .

(٣) فى الأصل « منهم » تحريف ولعل الصواب ما أثبتنا . وفى اللسان « يقال طريق مبهم إذا كان خفيا لا يستبين ، واستبهم عليه الأمر أى استغلق وأبهمت الباب : أغلقته وسددته » .

(٤) النص من الحلة السيراء نقلا عن دوزى ٢ : ٧٣

فأجابه المعتمد :

كنتُ حِلفَ النّدى وربَّ السَّماحِ ... وحبيبَ النُّفوسِ والأرواحِ

إذْ يميني للبَـذْلِ يومَ العطايا ... ولقبضِ الأرواحِ يومَ الكفاحِ

وشمالى لقَبض كلِّ عنانٍ ... يُقحِمُ الخيلَ فى مجالِ الرِّماحِ

وأنا اليومَ رهنُ أسرٍ وفقرٍ ... مُستباحُ الحِمَى مَهيضُ الجناحِ

لا أجيبُ الصّريخَ إن حضر النّا ... سُ ، ولا المعتفِين يومَ السَّماحِ

عادَ بِشرى الّذى عهدتَ عُبوسًا ... شَغَلَتْنى الأشجانُ عن أفراحى

فالتماحى إلى العيونِ كَريهٌ ... ولقد كان تُرفَةَ اللّمّاحِ

قافية الدّال

ولمّا آلمه القيد ، وهو أسير قال[1] :

تبدّلتُ من عزّ ظلّ البُنُودِ ... بذُلّ الحديد ، وثِقلِ القُيُودِ

وكان حديدى سنانًا ذليقًا ... وعَضْبًا رقيقًا صقيلَ الحديد[2]

فقد صار ذاك وذا أدهمًا ... يَعَضُّ بساقَيَّ عَضَّ الأُسُودِ

وكانت طائفة من أهل فَاسَ ، قد عاثوا فيها فسادا ، فسجنهم يوسف ابن تاشفين بأغمات ، حيث كان المعتمد أسيرا ، فكان يتسلّى بمجالستهم حينا إلى أن شفع فيهم ، وانطلقوا من وَثاقهم ، وبقى المعتمد يتشكّى من ضيق الكَبْل فدخلوا عليه مودّعين ، فقال[3] :

أمَا لانسكابِ الدّمعِ فى الخدّ راحةٌ ... لقد آن أن يَفْنَى ويفنى به الخدُّ

هَبُوا دعوةً ياآل فاسٍ لمبتلًى ... بِمَا مِنْهُ قد عافاكُمْ الصَّمدُ الفردُ

---

(١) هذا النص من قلائد العقيان ص ١٣ ونسختى الذخيرة : أ ٢ : ٢ و ب ٢ : ٢٤ وابن خلكان (٢ : ٤٥) وشذرات الذهب (٣ : ٣٨٨) .

(٢) فى قلائد العقيان «الحدود» .

(٣) هذا النص من قلائد العقيان ص ٢٨ ونفح الطيب (أوروبا ٢ : ٥٧٧ ومصر ١١٠٦) .

تخلّصتُمُ من سجن أغمات[1] ، والتوتْ علىّ قيودٌ لم يَحِنْ فكُّها بعدُ

منَ الدُّهم ، أمّا خلقُها فأساودٌ[2] تَلَوَّى . وأمّا الأيدُ والبطشُ فالأُسْدُ

فَهُنِّئْتُمُ النُّعمى ، ودامت لكلّكم سعادتُه إن كان قد خانني سعدُ

خرجتم جماعات ، وخُلِّفتُ واحدا ولله فى أمرى وأمرِكم الحَمْدُ

وقال بعد أسره يتذكّر قصوره بالأندلس[3] :

بكى المباركُ[4] فى إثر ابنِ عبّادِ بكى على إثر غزلان وآسادِ

بكت ثُرَيّاه لاغُمت[5] كواكبُها بمثل نوءِ الثُّريّا الرّائح الغادى

بكى الوحيدُ ، بكى الزّاهى وقبّته والنّهرُ ، والتّاجُ ، كلٌّ ذُلُّه بادى

ماءُ السماء على أبنائه[6] دِرَرٌ[7] يا لُجّةَ البحر دُومى ذاتَ إزبادِ

---

(١) أغمات : ناحية فى بلاد البربر من أرض المغرب قرب مراكش ، بينهما ثلاثة فراسخ . انظر معجم البلدان (١ : ٢٩٥) .

(٢) أساود جمع أسود : وهو الحية .

(٣) هذا النص من قلائد العقيان (٢٤) ونفح الطيب (اوروبا ٢ : ٦١٩) و بولاق (١١٣٥) .

(٤) المبارك والثريا والوحيد والزاهى : أسماء لقصور المعتمد بالأندلس .

(٥) "لاغمت كواكبها" قال ابن زاكور فى تزيين قلائد العقيان "دعاء لها بالايحول بينها و بين كواكبها المجازية أى الشبيهة بالكواكب من جواريه وبناته و بنيه حائل" . وفى القاموس (غم) . غم الهلال بالضم فهو مغموم حال دونه غيم رقيق .

(٦) أسرة بنى عباد تنسب الى النعمان بن المنذر الذى كان يكنى بابن ماء السماء . ويشير المعتمد كثيرا إلى هذا النسب فى شعره كقوله :

أذل بنى ماء السماء زمانهم وذل بنى ماء السماء كثير

وقوله :

نحن أبناء بنى ماء السما نحونا تطمح ألحاظ الحدق

(٧) درر ، بدال مهملة مكسورة فراء مفتوحة بعدها راء أخرى جمع درة بكسر الدال ، وأراد به كثير المطر ودرت السماء بالمطر درا ودرورا فهى مدرار .

ولمّا أحس بدنو وفاته[١] ، رثى نفسه بهذه الأبيات ، ووصّى بأن تكتب على قبره[٢] :

قبرَ الغريب سقاكَ الرّائحُ الغادى ... حقّا ظفِرتَ بأشلاء ابن عبّاد

بالحلم ، بالعِلم ، بالنُّعمى إذ اتّصلت ... بالخِصب إن أجدَبوا ، بالرّى للصّادِى[٣]

بالطّاعن ، الضّارب ، الرّامى إذا اقتَتَلُوا ... بالموت أحمرَ ، بالضِّرغامة العادى[٤]

بالدّهرِ[٥] فى نِقَمٍ ، بالبحر فى نِعَمٍ ... بالبَدر فى ظُلَمٍ ، بالصّدرِ فى النّادِى

نعم ، هو الحقّ وافانى[٦] به قدرٌ[٧] ... من السّماء ، فوافانى لميعادِ

ولم أكن قبل ذاك النّعشِ أعلمُه ... أنّ الجبالَ تهادَى فَوق أعوادِ[٨]

كفَاكَ[٩] ، فارفُق بما استُودعت من كَرمٍ ... روّاك كُلُّ قَطوبِ البرق رعّاد

يبكى أخاهُ الّذى غَيّبتَ وابلَه ... تحت الصفيح ، بدمع رائحٍ غادى

حتّى يجُودَكَ دمعُ الطّلِّ منهمراً ... من أعين الزهُّر لم تَبخَل بإسعادِ

ولا تزل صلواتُ الله دائمةً[١٠] ... على دَفينِكَ لا تُحصَى بتعدَادِ

---

(١) اختلف فى تحديد زمن وفاة المعتمد ، فابن بسام يذكر أن وفاته كانت فى ربيع الأول سنة ثمان وثمانين وأربعمائة وابن خلكان وصاحب الشذرات أنه توفى فى السجن بأغمات حادى عشر شوّال وقيل فى ذى الحجة من عام ستة ٤٨٨ .

(٢) النص من المعجب ص ١١٢ . وخطيّى الذخيرة (ا ٢ : ١٤ ، ب ٢ : ١٨) وأعمال الأعلام ٣ : ١٩١ .

(٣) هذه رواية المعجب وقد ورد هذا العجز عجزا لصدر بيته " بالطاعن الضارب . . . . " فى الذخيرة وأعمال الأعلام .

(٤) هذا الشطر قد ورد فى المعجب عجزا لقوله " بالحلم بالعلم بالنعمى إذا اتصلت " وساقط فى الذخيرة وأعمال الأعلام .

(٥) هذا البيت ساقط من الذخيرة وأعمال الأعلام .

(٦) هذه رواية الذخيرة وأعمال الأعلام وفى المعجب (جاءنى) .

(٧) فى أعمال الأعلام " القدر "

(٨) فى المصدر السابق " أطواد "

(٩) هذا البيت والبيتان بعده لم ترد فى الذخيرة وأعمال الأعلام وما أثبتنا من المعجب .

(١٠) فى الذخيرة وأعمال الأعلام " نازلة " .

قافية الراء

ولمّا[1] خلع المعتمد ، وذهب إلى أغمات[2] طلب من حوّاء بنت تاشفين خباءً عاريّة ، فاعتذرت بأنّه ليس عندها خباء ، فقال[3] :

هُمُ أوقدوا بين جَنْبَيْكَ[4] نارًا أطالُوا بها فى حشَاك استعَارَا

أَما يُخجِلُ المجدَ أن يُرحِلو[5] ك ، ولم يُصحبُوك خباءً معارا

فقد قَنعوا المجدَ إن كان ذَا ك — وحاشَاهمُ — منك خزياً وعَارَا[6]

يَقِلُّ لعَينيك أن يجعلوا سوادَ العيون عليكُم شِعارا

تراهم نسوا حين جزت القفا رحنينا إليهم وخضت البحارا

بعهد لزومٍ لسُبل الوفا إذا حاد من حاد عنها وجارا

وقلبى نزوعٌ إلى يوسفٍ فلولا الضلوعُ عليه لطارا

وأورد صاحب الخريدة من هذه القصيدة أبياتا أخرى يذكر فيها المعتمد يوم العروبة ، وبلاء يوسف بن تاشفين :

ويومَ العروبةِ ذُدت العِدَا نصرتَ الهُدى ، وأبيتَ الفرارَا

ثَبَتَّ هناك ، وإنّ القلو بَ بين الضُّلوع لتأبَى القَرارا

ولولاك يا يوسُف المتَّقَى رأينا الجزيرةَ للكفر دارا

---

(١) هذا التصدير من نفح الطيب (مصر ٤ : ١١٠) وقد ذكر الابيات الأربعة الأولى .

(٢) انظر ما سبق عن أغمات (ص ٩٥) .

(٣) النص من نفح الطيب (مصر ٤ : ١١٠) والخريدة ١١ : ١٤٤

(٤) هذه رواية الخريدة وفى نفح الطيب " جفنيك "

(٥) هذه رواية الخريدة وفى نفح الطيب " زد ودك "

(٦) هذا البيت والبيت بعده وردا فى موضعهما هذا فى رواية النفح .

رأينا السّيوفَ ضُحًى كالنجو م ، وكاللّيل ذاك الغُبارَ المثارَا

فللّه درُّك فى هَوله لقد زادَ بأسُك فيه اشتهارَا

تَزيدُ اجتراءً إذا ما الزما ح عند التّناجزِ زِدْنَ اشتجارَا

كأنّك تَحسَبها نَرجِسًا تديرُ الدّماءَ عليها عُقارَا

تُريك الرّماحُ القُدود انثناءً وتجلو الصّفاحُ الخدودَ احمرارَا

إذا نارَ حربكَ ضَرّمَتها حَسبنا الأسنّةَ فيها شَرارَا

ستلقَى فِعالك يوم الحسا بِ تَنثُرُ بالمسك منك انتشارَا

وللشُّهَداء ثناءٌ عليك بحسن مُقامك ذاك النّهارَا

وأنّهمُ بك يَستَبشِرو ن ألّا تَخافَ وألّا تُضارَا[1]

وقال وهو أسير يأسى على قصوره ، وكتب بها إلى ابن حمديس[2] :

غَريبٌ بأرض المغربين أسيرُ سَيبكى عليه منبرٌ وسريرُ

وتَندُبه البيضُ الصّوارمُ والقَنا وينهلُّ دمعٌ بينهن غَزيرُ

سيبكيه[3] فى زاهيه والزّاهر النّدى وطُلّابُه ، والعرفُ ثَمّ نكيرُ

إذا قيل فى أَغمات قد ماتَ جودُه فما يُرتَجَى للجود[4] بعدُ نُشورُ

---

(١) ورد بعد هذا البيت قوله :

ونلق نعيما ينسى الشقا ونجنى مراحا ينسى الإسارا

وأمل قبله سقطا .

(٢) هذا النص من خطيتى الذخيرة (١ : ٢٠ ، ب ٢ : ٢٤) والقلائد ص ٢٤ ونفح الطيب (مصر ١١٣٥) وديوان ابن حمديس (ص ٢٣٥) .

(٣) ورد هذا البيت فى ديوان ابن حمديس فى موضعه من هذه القطعة .

(٤) فى ابن حمديس « بعد انمات » .

مَضَى زمنٌ والملكُ مُستأنِسٌ به وأصبحَ عَنه[١] اليوم وهو نَفُورُ

برأيٍ من الدَّهر المضلَّل فاسدٍ متى صَلَحت للصَّالحين دُهورُ

أذلَّ[٢] بَنِى ماء السَّماءِ زمانُهم وذُلُّ بنى ماء السَّماءِ كَثيرُ[٣]

فما ماؤُها[٤] إلّا بُكاءٌ عليهمُ يفيضُ على الأكباد منهُ بُحورُ

فياليتَ شعرى هل أبيتنَّ ليلة أمَامى وخَلفِى رَوضةٌ وغَديرُ

بُمنبِتَة الزَّيتُون موروثةِ العُلا تُغنّى قِيانٌ[٥] أو تَرِنُّ طيورُ

بزاهرها[٦] السَّامى الذّرا جَادَه الحيَا تُشيرُ الثُّريَّا نحْونَا ونُشيرُ

ويلحظُنا الزّاهى وسعدُ سُعوده غُيورَين والصَّبُّ المحبُّ غيورُ

تُراه عسيرًا أم[٧] يسيرا مَنَالُه ألا كلُّ ما شاء الإلهُ يَسيرُ

قضى اللهُ فى حِمصَ[٨] الحِمامَ وبُعثِرت هنالك منَّا[٩] للنُّشور قُبورُ

---

(١) هذه رواية الذخيرة وفى غيرها من الأصول "منه" .

(٢) هذا البيت رواه ديوان ابن حمديس متقدما عن سابقه .

(٣) فى نفح الطيب والقلائد (كبير) .

(٤) البيت وارد فى ديوان ابن حمديس فى موضعه هذا .

(٥) فى نفح الطيب والقلائد "حمام" .

(٦) الزاهر والزاهى والثريا وسعد السعود التى ذكرت فى هذا الشعر — كما يقول ابن بسام — (أسماء قباب ومصانع سلطانية كان تأنق فى بنيانها من قصور إشبيلية . وعلى هذا الشعر أجابه أبو محمد الصقلى المعروف بابن حمديس بأبيات قال فيها :

تحيء خلافا للامور أمور ويعدل دهر فى الورى ويجور)

وانظر الذخيرة وديوان ابن حمديس .

(٧) فى نفح الطيب "لا" .

(٨) حمص : إشبيلية

(٩) فى الذخيرة "غَىّ" تحريف .

ونعبت[١] غربان بجوار المكان الذى كان أسيرا فيـه ، ثم ورد إثر ذلك النبأ بقدوم بعض نسائه عليه ، فقال :

غربانَ أغماتَ لا تعـدَمْن طيبةً من الليـالى ، وأفناناً من الشَّجرِ
تُظـلُّ زُغبَ فراخٍ تستكنُّ بهـا من الحَرُور ، وتكفيها أذَى المطرِ
كما نعبْـتُنَّ لى بالفـأل يُعجبُنى مخـبِّراتٍ به عن أطيب الخَـبرِ
أنّ النّجومَ التى غابت قد اقتربت منّـا مطالعها تَسرى إلى القمرِ
علىّ إن صدَّق الرّحمنُ ما زَعَمت ألّا يُروّعن من قَوسى ولا وترِى
والله ، والله ، لا نفَّرتُ واقعَها ولا تطيّرت للغربان بالعَـوَرِ[٢]
ويا عقاربَهـا لا تعـدمى أبدا شجّـا وعقراً ولا نوعا من الضَّررِ
كما ملأتُنَّ قـلبى مذ حَلَلتُ بهـا مخـافةً أسلمت عينى إلى السَّهرِ
ماذا رمتك به الأيام يا كبـدى من نَبلهنَّ ، ولا رامٍ سوَى القدرِ
أسْرٌ وعُسرٌ ، ولا يُسرٌ أؤمِّـلهُ أستغفرُ اللهَ ، كم لله من نَظَـرِ

ودخل عليه بناته السجن فى يوم عيد ، وكُنَّ يغزلن للناس بالأجرة فى أغمات فرآهن فى أطمار رثّة ، وحالة سيئة ، فصدَّع قلبه وأنشد[٣] :

فيما مضى كنتَ بالأعياد مسرُورا فساءكَ العيـدُ فى أغماتَ مأسُوراَ
ترى[٤] بنـاتِكَ فى الأطمـار جائعةً يَغزلن للنّاس ، لا يملكن[٥] قِطميراَ

---

(١) هذا النص من هنا الى آخر الأبيات من الذخيرة أ ٢ : ٢١ ، ب ٢ : ٢٥) .

(٢) يسمى الغراب بالأعور تطيرا منه وفى اللسان " والأعور الغراب على التشاؤم به لأن الأعور عندهم مشئوم " والمعتمد هنا يقول إن نعبها كان فالأحسنا فهو لذلك لا يتطير بالغراب الذى يطلق عليه العرب هـذا الاسم . انظر اللسان (عور) والحيوان (٣ : ٤٢٨) .

(٣) هذا النص من وفيات الأعيان (٢ : ٤٢٠) وقلائد العقيان (٢٥) ونفح الطيب (١١٣٥) الذخيرة (ا ٢ : ٢٠) وقلادة النحر (٢ : ٦٢٣) وشذرات الذهب (٣ : ٣٨٨) وخريدة القصر (١١ : ١٥١) وابن الوردى (٢ : ٨) وابى الفداء ٢ : ٢٩٧

(٤) فى خريدة القصر : "أرى بناتى فى أغمات من عدم يغزلن للناس ما يملكن قطميرا"

(٥) هذه رواية ابن خلكان وقلادة النحر والشذرات وفى باقى الأصول " ما يملكن "

بَرَزْن نَحوَك للتسليم خاشعةً ... أبصارُهنّ حَسِيراتٍ مكاسِيرَا

يَطأن[1] فى الطّين ، والأقدامُ حافيةٌ ... كأنّها لم تطأ مِسكًا وكافورَا[2]

لا خدَّ إلا ويشكو الجَدْبَ ظاهرُهُ ... وليس إلّا مع الأنفاس مَمْطورَا

أفطرتَ فى العيد لا عادَتْ إساءتُه ... فكان فِطرُك للأَكباد تفطيرَا[3]

قد كان دهرُك إن تأمره ممتثلا ... فردّك الدهر منهيًّا ومأمورَا

من بات بعدك فى مُلك يُسَرُّ به ... فإنما باتَ بالأحلام مغرورَا

وكان ابن حمديس قد مضى لزيارة المعتمد بأغمات ، فصَرفَه بعض خدمه بأنّه لا يوجد فى ذلك الوقت ، فرجع عبدُ الجبّار إلى منزله ، فأُخبِر المعتمد بمجيئه ورجوعه ، فعزّ عليه ذلك ، وعنَّفَ خدمه ، وكتب إليه بالغداة بهذا الشعر يعتذر إليه[4] :

حُجبتَ ، فَلا والله ما ذَاك عن أمْرِى ... فأصغِ فدتكَ النّفسُ سمعًا إلى عُذْرِى

فما صار إخلالُ المكارم لى هوًى ... ولا دَار إنجالٌ لمثلك فى صَدرِى

ولكنّه لمّا أحالت مَحاسِنى ... يدُ الدّهر ـ شَلّت عنك دأبًا يدُ الدّهر

عدمتُ من الخُدّام كلَّ مهذَّبٍ ... أُشيرُ إليه بالخفىِّ من الأمر

ولم يبقَ إلّا كلُّ أذكَنَ ألْكَنٍ ... فلا آذنٌ فى الإذن يبرأ من عَرّ

---

(١) فى خريدة القصر "يمشين فى الأرض"

(٢) لعله يشير إلى قصة الرميكية المشهورة حين رأت الناس يمشون فى الطين فاشتهت المشى فيه ، فأمر المعتمد بأشياء من الطيب فسحقت وذرت فى ساحة القصر ثم صب ماء الورد على الطيب وعجنت بالأيدى حتى صارت كالطين وخاضتها مع جواريها ..." وانظر نفح الطيب أوربا (٢ : ٦١٨) وبولاق (١١٣٤) .

(٣) هذا البيت ساقط من ابن خلكان وقلادة العقيان .

(٤) هذا النص من ديوان ابن حمديس (٢٣٦) .

حمـارٌ إذا يمشى ، ونَسْرٌ محـلِّقٌ إذا طـار ، بُعـدًا[١] للحمار وللنّسر

وليس بمحتـاج أتاناً حمارُهم ولا نسرُهم ممـا يحنُّ إلى وَكرِ

وهل كنتَ إلّا الباردَ العـذبَ إنّمـا به يَشتَفى الظّمآنُ من غُلّة الصَّـدرِ

ولو كنتُ ممن يشربُ الخمـرَ كُنتَهـا إذا نَزَعتْ نَفسى إلى لذَّة الخَمـرِ

وأنتَ ابنُ حمديَس الذى كنتَ مُهدياً لنا السِّحر ، إن لم نأت فى زمن السّحر

فجاوبه ابنُ حمديسَ بقصيدة مطلعها[٢] :

أمثلك مولىً يبسـطُ العبدَ بالعُـذرِ بغير انقباضٍ منك يَجـرى إلى ذِكرِ

وحين كان المعتمد أسـيرا بأغمات وفد عليه الدانىُّ شـاعره ، فبعث إليه بعشرين مثقالا ، ومعها هذه الأبيات[٣] :

إليـك النّزرَ من كفِّ الأسيرِ فإن تَقْبَلْ تَكُن عينَ الشَّـكُورِ

تقبَّـلْ ما يَذوبُ له حَيـاءً وإن عَذَرتْهُ حالاتُ الفَقـيرِ

ولا تَعجبْ لخطب غَضَّ منـه أليس الخسفُ ملتزِمَ البـدورِ

وركّ بجـبْرِه عقبى نداهُ[٤] فكم جبرت يَداه من كَسيرِ

وكم أعلت عُلاه من حضيضٍ[٥] وكم حطّتْ ظُبـاهُ من أميرِ

وكم أحظى رضاهُ من حظىّ وكم شهرت علاهُ من شهيرِ

وكم من منـبر حنّت إليـه أعالى مُرتقـاهُ ومن سَريرِ

(١) فى الأصل «يد» تحريف .

(٢) انظر القصيدة فى ديوان ابن حمديس (٢٣٧) .

(٣) هذا النص من خريدة القصر ١١ : ١٥٢ والمعجب ص ١١٠ وأصلى الذخيرة أ ٢ : ١٦ و ب ٢ : ٢٠ ونفح الطيب ٢ : ٤٨٧ أوروبا وابن خلكان (٢ : ٤٧٠) .

(٤) فى الذخيرة «يداه» والمراد بعقبى الندى : الغنى .

(٥) فى المصدر السابق «حطيط» .

زَمانَ تنافست فى الحظّ منه ملوكٌ قــد تجورُ على الدهور
زمانَ تَراجعتْ عن جانبيه جيــادُ الخيل بالموت المُـبيرِ
بحيث يطيرُ بالأبطـال ذعرٌ ويُلفَى ثَمَّ أرجح من ثبـير[1]
فقد نظرت إليه عيونُ نحسٍ مَضَت منــه بمعدوم النَّظيرِ
نحوسٌ كُنَّ فى عُقبَى ســعود كذاك تَدور أقدارُ القــدير

فردّ الدّانى صلته هذه وكتب إليه :

سقطتَ من الوفاء على خَبير فذَرنى والذى لك فى ضميرى

ومنها :

أسيرُ ، ولا أسير إلى اغتنامٍ مَعاذ اللهِ من ســوء المصير
جذيمة أنت ، والزَّبّاء خانت وما أنا من يُقَصِّرُ عن قصير
أنا أدرى بفضْلِك منك ، إنّى لبستُ الظّلّ منــه فى الحَرورِ
غنىّ النّفس أنت وإن ألَحت على كفّيك حالات الفقــير

* * *

أحدّث منك عن نَبع غَريب تَفَتَّح عن جنَى زَهر نضــيرِ
وأعجبُ منك أنّك فى ظــلامٍ وترفع للعُفَــاة مَنــارَ نُورِ
رُويدك[2] سوف تُوسِعنى سُرورا إذا عاد ارتقــاؤك للسّرير

---

(١) وردت الأبيات ٦ ، ٨ ، ١٠ فى آخر القصيدة فى المعجب ولعل ترتيبنا أولى .

(٢) هذا البيت والأبيات الثلاثة بعده رواها المعجب بعد البيت السابق .

وسوف تُحلّني رتبَ المعالى   غداةَ تَحُلُّ فى تلك القُصورِ
تزيد على ابن مروانٍ عطاءً   بها ، وأنيفُ ثَمَّ على جَريرِ
تأهّبْ أن تعودَ إلى طُلوعٍ   فليس الخَسفُ ملتزمَ البُدورِ

فراجعه المعتمد بهذه الأبيات :

ردَّ بِرّى بَغياً علىَّ ، وبِرّاً   وجَفَا فاستحقَّ لوماً وشُكرَا
عافَ[1] نزرى إذخافَ تأكيدضَرّى   فاستحقَّ الجفاءَ إذ عاف نَزْرا
فإذا ما طويتُ فى الحمد بَعضاً   عاد لَومى فى البَعض سراً وجهراَ
يا أبا بكرٍ الغريبَ وفاءً   لا عدمناك فى المغارِب ذُخراَ
أىُّ نفعٍ يُجدى احتياطُ شَفيقٍ   مُتُّ[2] ضُرّاً ، فكيف أرهَبُ ضُرّاَ

فأجابه الدانى :

أيُّها المـاجدُ السّميذَع ،عذرا   صَرْفىَ البِرَّ إنما كان بِرّاَ
حاشَ لله أن أُجيحَ كريماً   يتشكّى فقراً ، وكم سدّ فقرا
لا أزيدُ الجفاءَ فيه شُقوقا   غَدر الدّهر بى لئن رمت غَدراَ
ليت لى قوّةً أوآوِى لِركنٍ   فترى للوفاء منّىَ سِرّا
أنت علّمتنى السيادةَ حتى   ناهضَتْ همّتى الكواكبَ قدرَا
ربحتْ صفقةٌ أُزيلُ بُرودا   عن أديمى بها وألبس فَخرا
وكفانى كلامُك الرطبُ نيلاً   كيف أُلقى درّا وأطلب تبرَا
لم تَمُتْ ، إنما المكارم ماتت   لاسقىَ الله بعدَك الأرض قَطراَ

---

(١) فى المعجب «حاط نزرى ... ... إذ حاط»

(٢) فى الذخيرة «بت» . قال ابن بسام «وهذا المصراع الأخير كأنه إلى بيت أبى الطيب يشير :
« أنا الغريق فما خوفى من البلل »

وقال يرثى ولديه[١]، وفيها يشير إلى قتل ابنه أبى عمرو سراج الدّولة[٢] :

يقولُون صبراً ، لا سبيلَ إلى الصَّبرِ
سأبكِى ، وأبكى ما تَطَاولَ من عُمرِى

هوى الكوكبانِ : الفتحُ ثمّ شَقيقهُ
يَزيدُ ، فهل عند[٣] الكواكب من خُبرِ[٤]

نرى زُهرها فى مأتمٍ كلَّ ليلةٍ
تُخَمِّشُ لهفاً وسطَهُ صفحةَ البدرِ

ينحن على نجمين ، أُثكلتُ ذا وذا
وأصبر[٥] ؟ ! ماللقلب فى الصَّبر من عُذرِ

مَدى[٦] الدّهر فليَبْكِ الغمامُ مُصابَه
بصنويه يُعذر فى البكاء مَدَى الدَّهرِ

بعينِ سحابٍ واكفٍ قطرُ[٧] دمعِها
على كلّ قبر حلَّ فيه أخُو القَطرِ

---

(١) هما المأمون الذى قتل فى «قرطبة سنة ٤٨٤» والراضى الذى قتل فى «رندة» بعده بأيام . وانظر ما سبق ص ٦٨ .

(٢) النص من خريدة القصر (١١ : ١٥١) وقلائد العقيان ص ١٢ ومخطوطى الذخيرة أ ٢ : ١٨ و ب ٢ : ٢٢ والحلة السيراء عن دوزى ص ٦٨ .

(٣) فى القلائد «بعد» وهذا البيت هو السابع فى رواية القلائد وما جرينا عليه هو ترتيب الذخيرة ونرجح صوابه .

(٤) الخبر بكسر الخاء وضمها : العلم بالشىء . وفى الأصل « صبر » ولعل ما أثبتناه أولى .

(٥) فى قلائد العقيان «ويا صبر» .

(٦) هذا البيت وتالياه من القلائد .

(٧) فى الأصل «قصر» تحريف .

وبرقِ ذكِيّ النّارِ حتّى كأنّما
يُسعَّر ممّا فى فؤادى من الجمْرِ

أفتحُ ، لقد فتّحتَ لى باب رحمةٍ
كما بيزيدَ ، اللهُ قد زادَ فى أجْرى

هَوى بكما المِقدار عنّى ، ولم أمُتْ
وأُدعَى وفيًّا ، ! قدنكَصتُ إلى الغَدر[1]

تولّيتُما والسّنُّ بعدُ صغيرةٌ
ولم تلبث الأيّامُ أن صغّرت قدرِى

تولّيتما حين انتهت بكما العُلا
إلى غايةٍ ، كلٌّ إلى غايةٍ يَجرِى[2]

فلو عُدتُما لاخترتُما العَودَ فى الثّرى
إذا أنتُما أبصرتُمانِىَ فى الأسْرِ

يُعيد على سَمعى الحديدُ[3] نشيدَه
ثقيلاً ، فتبكى العينُ بالحِسِّ والنَّقْرِ

---

(١) ورد هذا البيت فى موضعه هذا فى رواية القلائد .

(٢) « « « « « فى رواية الذخيرة .

(٣) يريد بالحديد هنا : القيد

مَعِي[١] الأخــواتُ الهالــكاتُ عليكما
وأُمُّكما الثَّكلَى المضرَّمةُ الصَّــدر

فتبكي[٢] بدمع ليس للقطــر مثلُه
وتزجرُهـا التَّقوى فتُصغي إلى الزَّجرِ

أبا خالدٍ[٣] أورثتني الحُــزن خالداً
أبا النَّصرِ[٤] مُذ ودَّعتَ ودَّعني نَصْرِي

وقبلَــكما قــد أودَعَ القلبَ حسرةً
تجــدَّدُ طولَ الدَّهرِ، ثُكلُ أبي عَمرو[٥]

قافية السّين

وقال[٦] :

من يصْحَبِ الدَّهرَ لم يعــدَم تقلُّبَه
والشَّوكُ ينبتُ فيــه الوَردُ والآسُ

يمُــرُّ حينا وتحــلُو لي حوادثُه
فقلَّمــا جرحتْ إلّا انثنَتْ تأسُــو

---

(١) في الذخيرة «مع»

(٢) في المصدر نفسه «تبكي» وفي الحلة ورد البيت هكذا:
تذللها الذكرى فتفزع للبكا ... وتصبر في الأحيان شحا على الأجر

(٣) أبو خالد : كنية يزيد

(٤) أبو النصر : كنية الفتح .

(٥) أبو عمرو هذا هو سراج الدولة بن المعتمد وكان على قرطبة من قبل أبيه وظل عليها إلى أن هاجمه ابن عكاشه سنة ٤٦٨ هـ فدافع عنها على صغر سنه وخرج لملاقاة عدوه ومطاردته إلى أن زلت قدمه فسقط عن جواده وقتل ، ولم يلبث المعتمد أن عاد إلى قرطبة فقتل ابن عكاشة انتقاما له ، وولى ابنه المأمون عليها . وانظر الذخيرة والقلائد وتاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين لاشباخ ، وترجمة الأستاذ محمد عبد الله عنان .

(٦) النص من الغيث المسجم ٢ : ١٧٤ .

قافية العين

وقال[1] :

قُبِّحَ الدَّهرُ فماذا صَنعا ... كلّما أعطى نَفيساً نزعا

قد هوى ظُلماً بمن عادَاتهُ ... أن يُنادى كلّ من يَهوى "لَعَا"

مَنْ إذا الغيثُ همَى مُنهمِراً ... أخجَلته كَفُّه فانقطعَا[2]

مَنْ غَمامُ الجود من راحتِه ... عصَفتْ رِيحٌ به فانقَشعَا

من إذا قيل الخنَا[3] صَمّ وإنْ ... نطقَ العافُون هَمساً سَمِعَا

قل لمن يطمع فى نائله ... قد أزالَ اليأسُ ذاك الطَّمعَا

راح لا يملكُ إلاَّ دعوةً ... جَبرَ اللهُ العُفَاةَ الضُّيَّعَا

قافية الفاء

وكانت بثينةُ بنتُ المعتمد فى جملة من سُبِى ، حين أحيط بأبيها فى القصر ، وظل المعتمدُ والرّميكية أمُّها فى ولَهٍ دائم عليها ، لا يعلمان من أمرها شيئا ، وكان أحد تجار إشبيلية قد اشتراها على أنها جارية ، ووهبها لابنه ، فلما أراد الدخول بها امتنعت ، وأظهرت نسبها ، وقالت : لا أحل لك إلا بعقد النكاح ، إن رضى أبى بذلك ، وأشارت عليهم بتوجيه كتاب من قبلها لأبيها ، وانتظارِ جوابه ، فكتبت إليه بشعر ، فرضى المعتمد بزواجها ، وكتب إليها :

بُنيّتِي كُونى به برّة ... فَقد قضى الدَّهرُ بإسعافه[4]

---

(١) هذا النص من خريدة القصر (١١ : ١٥١) ونفح الطيب (مصر ١١٤٠) والمعجب ص ١٠٢

(٢) البيتان الثالث والرابع من المعجب .

(٣) فى خريدة القصر « الهوى » .

(٤) النص من أوله الى هنا من نفح الطيب (أوروبا ٢ : ٦٢٨ ومصر ١١٤٠) وانظر القصة فيه مفصلة .

قافية القاف

وقال[١] :

من عَزَا المجدَ إلينا قد صدَقْ   لم يُلَمْ من قال ، مهما قال حَقْ
مجـدُنا الشّمسُ سَـناءً وسنًا   من يَرُم سَترَ سَنَاها لم يُطِقْ
أيّهـا النّاعى إلينـا مجـدَنا   هل يضيرُ المجدَ أن خَطبٌ طَرَقْ
لا تُرَعْ للـدّمع فى آماقنـا   مَزجَتْـه بدمٍ أيدى الحُـرَقْ
حَنِقَ الدّهـرُ علينـا فسطَا   وكذا الدّهرُ على الحـرِّ حَنِقْ
وقديمـا كلِفَ المـلكُ بنـا   ورأى منّـا شُموسًا فَعشِـقْ
قد مضى منـا ملوكٌ شُهِـروا   شُهرةَ الشّمس تجلّت فى الأفُقْ
نحن أبنـاءُ بنى ماءِ السّما   نحوَنا تطمحُ ألحاظُ الحـدَقْ
وإذا ما اجتمع الدّين لنـا   فحقيرٌ ما من الدّنيـا افترق

ومنها فى ذكر مدة إمارتهم :

حِجَجًا عشراً وعشرا بعـدها   وثلاثين وعشرين نَسَقْ[٢]
أشرقتْ عشرونَ من أنْفَسِها   وثلاثٌ نيّرات تأتَلِقْ

---

(١) هذه الأبيات صدى لقصة ذكرها ابن بسام فى الذخيرة هى « أن رجلا رأى فى منامه إثر الكائنة عليهم كأن رجلا صعد منبر جامع قرطبة فاستقبل الناس ينشدهم .

رب ركب قد أناخوا عيسهم   فى ذرا مجدهم حين بسق
سكت الدهر زمانا عنهم   ثم أبكاهم دما حين نطق

فلما سمع المعتمد ذلك أيقن أنه نعى لملكه وإعلام بما انتثر من سلكه » فقال : من عز المجد ... ... الأبيات
وانظر الذخيرة أ ٢ : ١٥ ، ب ٢ : ١٩ والحلة السيراء عن دوزى ص ٦٩

(٢) هذان البيتان من الحلة ص ٧٠

وقال[1] :

أنباءُ أسرِك قد طبّقْن آفاقَا ... بل قدعَمَمْن جهاتِ الأرض إقلاقَا

سَرَتْ من الغرب لا يُطوى لها قدمٌ ... حتّى أتت شَرقها تنعاكَ إشراقَا

فأحرقَ الفجعُ أكباداً وأفئدةً ... وأغرقَ الدَّمعُ آماقاً وأحداقَا

قد ضاقَ صدرُ المعالى إذ نُعيتَ لها ... وقيل : إن عليكَ القيدَ قد ضاقَا

أنّى غُلبتُ ، وكنتُ الدّهر ذا غَلبٍ ... للغالبــين ، وللسُّبّاق سَبّــاقَا

قلتُ : الخطوبُ أذلّتنى طوارقُها ... وكان عَزمىَ[2] للأعداءِ طرّاقَا

متى رأيتَ صُروف الدّهرِ تاركةً ... إذا انْبرت لذوى الأخطارِ أرماقَا

قافية اللام

واجتاز يوما عليه فى أسره سربُ قطا ، فهـاج وجده ، وأثار من لاعج الشوق ما عنده ، فقال[3] :

بكيتُ إلى سِرب القَطَا إذ مَرَرْن بى ... سَوارِحَ ، لا سجنٌ يعوقُ ولا كَبْلُ

ولم تكُ ــ واللهِ المعيذُ[4] ــ حَسادةً ... ولكن حنيناً أنَّ شَكْلى لهـا شَكْلُ

فأسرحُ ، لا شَملى صديعٌ ، ولا الحَشَا ... وجيعٌ ، ولا عيناى يُبكيهما ثُكلُ

---

(١) هذا النص من نفح الطيب (٥ ١١٠) وقلائد العقيان (٢٦)

(٢) فى نفح الطيب « وكان عزمى إلى الأعداء » .

(٣) هذا النص من نسختى الذخيرة أ ٢ : ١٩ ، ب ٢ : ٢٢ وقلائد العقيان ٢٨ ؛ ونفح الطيب بولاق ٦ ١١٠ .

(٤) رواية الذخيرة « العظيم » .

هنيئاً لها أَنْ[١] لم يُفَرَّق جميعُها ... ولا ذاقَ منها البعدَ من[٢] أهلها أهلُ
وَأَنْ[٣] لم تبتْ مثلى[٤] تطيرُ قلوبُها ... إذا اهتزَّ بابُ السّجن أو صَاصَلَ القُفلُ
وما ذاك مما يَعترينى ، وإنما ... وصفتُ الذى فى جِبْلَةِ الخلقِ من قبلُ
لِنَفْسى إلى لُقيا الحِمام تشوّقٌ[٥] ... سواى يُحِبّ العيشَ فى ساقه حِجلُ
ألا عَصَم اللهُ القَطا فى فراخها ... فإنّ فراخى خانَها الماءُ والظّلُّ

وقال[٦] :

لكَ الحمدُ من بعد السيوفِ كُبولُ ... بساقىَّ منها فى السُّجون حُجُولُ
وكُنّا إذا حَانَت لنَحرٍ فريضةٌ ... ونادت بأوقاتِ الصَّلاةِ طُبُولُ
شَهِدنا فكبّرنا ، فظلّت سيوفُنا ... تُصلّى بهامات العدا فتُطيلُ
سُجُودٌ على إثرِ الرّكوع مُتَابعٌ ... هناك بأرواح الكماة تسيلُ

قافية الميم

قال من قصيدة يصف فيها الكبل[٧] :

تعطَّفَ فى سَاقِى تعطُّفَ أرقمٍ ... يُساوِرُها عضّاً بأنياب ضيغَمِ
وإنّىَ من كانَ الرّجالُ بسيبه ... ومن سَيفه فى جنّةٍ وجَهَنَّمِ

---

(١) فى نفح الطيب « إذ »
(٢) فى النفح والقلائد « عن » .
(٣) رواية النفح « و إذ » .
(٤) فى الذخيرة « ليلا » ، وما أثبتنا من النفح والقلائد .
(٥) رواية النفح والقلائد « تشوف » .
(٦) النص من نسختى الذخيرة ا ٢ : ٢١ ، ب ٢ : ٢٥
(٧) هذا النص من الخريدة (١١ : ١٥١) .

وفى الذخيرة[١] والقلائد[٢] ورد البيتان هكذا :

إليكَ فلو كانت قُيونُك أشعِرتْ تَضرَّمَ منها كُلُّ كَفٍّ ومِعصَمِ
مهابَةَ من كان الرّجالُ بسيبِه ومِنْ سيفه فى جنّة وجهنّمِ

وقال وقد دخل عليه ابنه أبو هاشم[٣] فارتاع لقيده[٤] :

قَيدى أما تعلمُنى مُسلِما أبَيْتَ أن تُشفِقَ أو ترحَمَا
دَمى شرابٌ لك ، واللحُم قد أكَلْتَه ، لا تَهشِمِ الأعظُمَا
يُبصِرُنى فيك أبو هاشمٍ فينْثَنى القلبُ وقد هُشِّمَا
إرحَمْ طُفيلا طائشاً لُبُّهُ لم يخش أن يأتيك مُسترحِمَا
وارحَمْ أُخَيّاتٍ له مِثلَه جَرَّعتَهُنَّ السُّمَّ والعَلْقَمَا
منهنّ من يفهم شيئا فقد خِفْنَا عليه للبكاء العَمَى
والغيرُ لا يفهمُ شيئا فما يَفْتَحُ إلّا لرَضَاعٍ فَمَا

---

(١) الخطية المغربية أ ٢ : ١٣ و ب ٢ : ١٦

(٢) القلائد (١٢) والظاهر أن هذا الشعر قاله المعتمد لأول عهده بالقيد إذ يقول الفتح « ... فنزل من القصر بالقسر إلى قبة الأسر فقيد للحين وحان له يوم شر ما ظن أنه يحين . ولما قيدت قدماه قال « إليك فلو كانت ... الأبيات »

(٣) انظر ما سبق فى صفحة ٤٨

(٤) هذا النص من نسختى الذخيرة (أ ٢ : ٢٠ ، ب ٢ : ٢٤) وابن خلكان (٢ : ٤٨) وشذرات الذهب (٣ : ٣٨٩) ونفح الطيب بولاق (١١٠٤) .

وأرسل إليه الدّانى حين كان بأغمات قصيدة مطلعها[١] :

وداعٌ ، وَلكنِّى أقولُ سـلامُ ... وللنَّفس فى ذكْر الوداع حِمـامُ

فأجابه المعتمد بقوله :

كلامُك حرٌّ والـكلامُ غُلامُ ... وسحرٌ ولكن ليس فيــه حَرامُ

ودرٌّ ولـكن بين جنْبيك بحرُه ... وزهرٌ ولـكنّ الفؤادَ كِمامُ

وبعد فإن ودِّعتنى بخَــداعة ... فحَقّ أن يجنى عليه سلامُ[٢]

أعنى على نفسى بـتزويد أسهلى ... بلى وقول لا شى على حرام

فدونكه إذ لم أجد لِىَ حيــلةً ... وقلبىَ فاعلم فى الطعام طعـامُ

فهنئته زادًا وفى الصدر وقدةٌ ... ولَلصَّبر من دون الفؤاد غَرامُ[٣]

لقد كان فَأْلٌ من سمائك مؤنِسٌ ... فقــد عاد ضِــداً والعزاء رِمامُ

تَحلّيتَ بالدّانى ، وأنتَ مُبـاعِدٌ ... فيـا طيبَ بَدْءٍ لو تَلاه تَمـامُ

ويا عَجَبًـا حتّى السِّماتُ تَخونُنى ... وحتى انتباهى للصّـديق مَنـامُ

أضاءَ لنـا أَغماتَ قربُك بُرهةً ... وعادَ بهـا حين ارتَحلتَ ظَلامُ

تسيرُ إلى أرضٍ بها كُنتَ مُضغَةً ... وفيها اكتست باللّحم منك عظَامُ

(١) النص من الذخيرة ا ٢ : ١٧ ، ب ٢ : ٢١ .

(٢) كذا ورد بالأصل هذا البيت والبيت بعده .

(٣) فى الأصل مرام ولعل ما أثبتنا أولى . والغرام : الهلاك والعذاب .

وأَبَقَى أُسَامُ الذّلّ فى أرض غُربة ... وما كنت لولا الغَدْرُ ذاك أُسامُ

فَبُلِّغْتَهَا فى ظلِّ أمنٍ وغبطةٍ ... وسُنّيَ[1] لى مما يَعوقُ سَلاَمُ

وقال[2] :

أبي الدهرُ أن يقْنَى الحياءَ ويندمَا ... وأن يمحوَ الذّنبَ الّذى كان قدّمَا

وَأَن يتلقَّ وجهَ عتبىَ وجهُهُ ... بعُذْرٍ يُغَشّى صفحتيه التَذَمُّمَا

ستَعلمُ بَعدى من تكونُ سيوفُه ... إلى كلّ صَعبٍ من مَراقيك سُلّمَا

سترجعُ إن حاولتَ دُونَى فَتكةً ... بأنْجلَ من خدّ المُبَارِزِ أَجْمَا[3]

قافية النّون

ولما خُلع وسجن بأغمات قالت له زوجه اعتماد الرُّميكية : يا سيدى لقد هُنَّا هنا ، فقال[4] :

قَالت : لقد هُنَّا هُنَا ... مَولاى ، أينَ جاهُنَا

قلتُ لها : إلى هُنَا ... صيرَّنا إلهُنَا

وقال[5] :

اقنعْ بحظّك فى دُنيَاك ما كانَا ... وعَزِّ نَفْسَكَ إن فارقْتَ أوطَانَا

فى الله من كُلّ مَفقودٍ مضَى عِوضٌ ... فأَشْعِرِ القلبَ إُسلوانا وإيمَانَا

---

(١) سناه : مهله . والمراد بالسلام هنا السلامة .

(٢) هذا النص من خريدة القصر (١١ : ١٥٠) .

(٣) فى الأصل (المبارز واجما) تحريف .

(٤) هذا النص من نفح الطيب (بولاق : ١١٠١) .

(٥) هذا النص من المرجع السابق (ص ١٠٥٠) .

أكلّما سنحت ذكرى طربتَ لها مجّت دموعَك فى خدّيك طوفاناً
أما سمعتَ بسلطانٍ شبيهك قد بزّته سود خطوبِ الدهر سلطاناً
وطّن على الكره ، وارقب إثره فرجاً واستغنم الله تغنَمْ منه غفراناً

وقال[1] :

غَنّتْكَ أغماتيّةُ الألحانِ ثَقُلت على الأرواح والأبدان
قد كان كالثّعبان رمحُك فى الوغى فغدا عليكَ القيدُ كالثّعبان
متمدّداً بجذاك كلَّ تمدُّدٍ متعطّفاً لا رحمةً للعانى
قلبى إلى الرّحمن يشكو بثّه ما خاب من يشكو إلى الرّحمٰن
يا سائلاً عن شأنه ومكانه ما كان أغنى شأنَه عن شانى
هاتيكَ قينتُه وذلك قصرُه من بعد أىّ مقاصرٍ وقيانِ
من بعد كلِّ غَريرةٍ روميّةٍ تحكى الحمائمَ فى ذُرا الأغصانِ

وقال[2] :

سَلّت علىَّ يدُ الخطوب سيوفَها فجذذن من جلدى الخصيفَ الأمتنا
ضَربتْ بها[3] أيدى الخطوب وإنما ضربت رقابَ الآملين بها المُنَى
يا آملِى العاداتِ من نفحاتِنا كُفّوا ، فانّ الدّهرَ كفّ أكُفَّنا

---

(١) هذا النص من قلائد العقيان (٢٦) والذخيرة (١ ٢ : ٢٠ ، ب ٢ : ٢٤) ونفح الطيب أوروبا (٢ : ٥٧٤) وبولاق (١ : ١١٠٥) .

(٢) هذا النص من خريدة القصر (١١ : ١٥٠) .

(٣) الضمير يعود إلى السيوف .

وقال فى إثر ثورة ابنه عبد الجبّار[١] :

كذا يَهــلِكُ السّيفُ[٢] فى جَفنه إلى هَــزّ كفّى طويلَ الحَــنين

كذا يَعطَــشُ الرُّمحُ لم أعتقِلْه[٣] ولم تُروِه من نجــيعٍ يَميــنِى

كذا يُمنَع الطِّرفُ[٤] عَلْكَ الشكيــــم[٥] ، مرتقبا غرّةً فى كَمــينِ

كأنّ الفَــوارسَ فيــه ليــوثٌ تُراعِى فَرائسَهــا فى عَــرينِ

ألَا شــرفٌ يَرحــمُ المــشرفِيَّ مما به من شَمــاتِ[٦] الــوتينِ

ألا كَرَمٌ يُنــعِش الــسَّمهــرىَّ ، ويَشفيه من كلِّ داءٍ دفــينِ

ألا حَــنّةٌ[٧] لابن مَحــنيَّــةٍ[٨] شــديدِ الحنين ضعيفِ الأنينِ

يُــؤمِّل من صــدْرِها[٩] ضَمَّةً تُبــوِّئُه صــدرَ كفٍّ مُعــينِ

(١) هذا النص من نفح الطيب (أوروبا ٢ : ٥٧٦) وبولاق (٣ : ١٠٢) وقلائد العقيان (٢٧) .

(٢) السيف فاعل يهلك . «وطويل» منصوب على الحال من السيف .

«وإلى هز كفى ...» متعلق بالحنين . وإضافة الهز للكف من إضافة المصدر للفاعل .

(٣) اعتقل الرمح : جعله بين ساقه وركابه .

(٤) الطرف (بكسر الطاء) : الكريم من الخيل .

(٥) الشكيم : مفرده الشكيمة ، وهى حديدة اللجام المعترضة فى فم الفرس .

(٦) فى الأصل «سمات» تحريف . والشمات كالشماتة فعله شمت كفرح : الفرح ببلية العدو . والوتين : عرق إذا انقطع مات صاحبه ، جمعه وتن وأوتنة وإضافة الشمات إلى الوتين يراد به شماتة صاحبه .

(٧) الحنة : الرحمة والرأفة .

(٨) المحنية : القوس .

(٩) الضمير عائد على المحنية .

قافية اليـاء

وقال[١] :

تُؤمّل للنّفس الشّجيّة فَـرجَةً[٢] وتأبَى الخطوبُ السّود إلّا تمـاديَا

لياليك من زاهيك أصفَى صحبتَهـا كذا صَحبتْ قبلُ الملوكُ اللّياليَـا

نَعــيمٌ وبـؤسٌ ، ذَا لذلك نَاسِخٌ وبَعدَهما نسخُ المنـايَا الأمانيَـا

---

(١) هذا النص من قلائد العقيان (٢٦) ونفح الطيب (أوروبا ٢ : ٥٧٥) وبولاق (١١٠٥) .

(٢) الفرجة بفتح الفاء : الراحة من حزن أو مرض .

ملحق

وقع لنا فى أثناء تجربة الطبع كتاب مختارات من الشعر الأندلسى جمعها الدكتور ا. ر. نيكل، فعثرنا فيه على القطع التالية ولم يشر إلى مصدرها :

وقال :

يومَ يقولُ الرسولُ : قد أذِنت فأت على غير رِقبةٍ وَلِجِ

أقبلتُ أهوِى إلى رِحالهمُ أهدَى إليها بريحِها الأرجِ

وقال :

أزِفَ الصيامُ وزادَ نورُ النرجس فلقيت زَورتَه بحثِّ الأكؤسِ

فى ليـلةٍ دارت علىَّ نجومُها حتى سكرتُ بكف قُوتِ الأنفسِ

خَودٌ تمالكت الفؤادَ فريدةٌ بندى الثنايا والمحيَّا المُشمسِ

وجعلتُ نَقْلِى[1] ذكرَ موصلِ زَفرتى فجمعتُ أشتاتَ المنى فى مجلسِ

ولقد ذكرتُ فزادَ عينىَ قُرَّةً هُونُ السِّبالِ وخزى رب البرنس

---

(١) النقل : ما يتنقل به على الشراب .

وقال :

غلاميَّةٌ جاءت ، وقد جعلَ الدُّجى　　لخاتِمِ فيها فَصَّ غاليةٍ خَطَّا

فقلتُ أحاجِيها بما فى جفونها　　ومَا فى الشِّفاه اللُّعس من حُسنها المعطى

محيرةُ العينين فى غير سَكرة :　　متى شربت ألحاظ عينيك إسفنطا[1]

أرى نكهة المسواك فى حمُرة اللَّمى　　وشارِبَك المخضرَّ بالمسك قد خُطَّا

عسى قزحًا قبَّلتِــــه فإخاله　　على الشفة اللمياء قد جاء مُختطَّا

هذا ما عثرنا عليه من شعر المعتمد وما سنظفر به بعد سنثبته فى الطبعات التالية إن شاء الله .

---

(١) الاسفنط : الخمر .

فهرس القوافى

الألف المقصورة

الهمزة

البـــاء

الراء

السين

الصاد

اللام

الميم

النون

الهاء

الياء

فهرس الأعلام

(ا)

(ب)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ظ)

(ع)

(ف)

(ق)

(ل)

(م)

(ن)

(هـ)

(و)

(ى)

فهرس البلدان والأماكن

(ا)

(ب)

(ث)

(ح)

(ز)

(س)

(ش)

(ط)

(ع)

(ف)

(ق)

(ل)

(م)

(و)

تم طبع هذا الكتاب فى يوم ٦ شوال سنة ١٣٧٠
(١٠ يوليه سنة ١٩٥١) م

مدير عام المطبعة الأميرية

محمد يوسف همام

المطبعة الأميرية ٣٣١-١٩٤٩-١٠٠٠٠